الى القارئ

ليس القول بأن الأدب مأساة ، نابعا فحسب من نظرة تشاؤمية الى الكون وسوء ظن بامكانيات الانسان فى الخلق والتأثير على الواقع بل إنه ، فى آخر الأمر ، نفى لحرية البشر ، واقرار لتفاهتهم ، وبالتابع اعتماد على روح الاتكال والاستسلام أو ترنم بنغمة التشاكى والتباكى والتوسل .

وإذا اقتضى الأدب مناخا من الحرية ، بدونه لا يكون أدب ولا أدباء ! - وجب ألا يفهم بذلك حرية التفكير والتعبير فقط ، بل ، وقبل كل شيء ، الحرية ازاء الأشياء وهى التى لا يمكن السيطرة عليها فالتأثير فيها إلا بعد معرفة نواميسها وكشف أسرارها ، وكذلك الحرية إزاء النفس بالخصوص ، النفس وما فطرت عليه - أو ألهمت إياه - من فجور وتقوى وضعف وقوة أو شر وخير .

والحرية ، كالذكاء والثقافة والفضيلة والعظمة ... ، ليست هبة ولا فطرة ولا حظا ، إنها كسب متزايد ، وغزو متواصل ، وكفاح لاينى ؛ الأديب الحق يطلب - أول ما يطلب - الحرية ويتفانى فى ممارستها ، ويجاهد للابقاء عليها والزيادة فى حظه منها .

ان الأديب يجاهد أهواءه ويروض نفسه ليكون حرا ازاء نفسه ، والأديب يغالب المادة ويواجه العبث ، ليكون خليفة الله فى الأرض ، ويريد كى يستجيب له القدر ! والأديب يتحدى الموت بروائع فنه وطرائف ابتكاراته فيزول الجانب الفانى منه أما فنه وآراؤه ورسالته فهى نور يضىء دائما رغم السحب والعواصف ، وهى حية لا تموت .

الأدب فن ، والفن لا يفرض فرضا ولكنه لا يكبت أيضا . إنه كريح الصبا يهب هبوبا فيتهيأ لاستنشاقه كل ذى نفس كبيرة وحساسية مرهفة . الأدب يعمل عمله ويؤثر فى حياة الانسان ويساهم فى تبديل نفسيته وتطوير قيمه العليا وتغيير نظرته للوجود . الأدب لا يتوسل للتمتع بالحرية لأنه فى جوهره حرية واختيار . الأدب يعزز سلطان الحرية فى كل نفس تتذوقه وتتفتح لروعته ، إنه تلقيح يقى من تبعات العجز والنقائص والخوف والجبروت بكل ألوانه ، وهو تجاوز للفناء .

الأدب ملحمة لأن وظيفته الفعل ، ولأنه تعبير صادق ورائع عن كفاح الانسان من أجل السيطرة على نفسه والرفع من منزلته ، وصراعه الدائم فى سبيل حياة أفضل .

فليذكر أدباؤنا الشبان كل ذلك وليكونوا من ذوى البأس والقوة واعين لمسؤليتهم معتمدين على أنفسهم متمسكين بحريتهم ، إنهم سيكونون ما يريدون ان يكونوا .

الفكر

عودة الى لغة الشعر العربى

بقلم : البشير بن سلامة

عندما كتبت آخر مرة فى لغة الشعر العربى (1) لم أنو الرجوع الى هذا الموضوع بمثل هذه السرعة ، إذ كان فى ذهنى أن أكف عن إثارة المسائل المتعلقة باللغة العربية على صفحات مجلة الفكر ، خاصة وأن الجوانب التى تناولتها منذ ما يزيد عن السنة عديدة متنوعة كافية لوضع مشكلات لغتنا على بساط البحث مرة أخرى فى ظروف لم تعرفها فى الأحقاب الماضية .

غير أن أسبابا كثيرة دفعتنى دفعا الى أن أعود وأعيد الكرة لتوضيح رأيى وتدعيمه بالأدلة والحجج التى،وإن لم تقنع،فهى على الأقل تساهم فى حض الذين ينظرون الى الشعر من وجهة واحدة على أن يلتفتوا اليه من وجهة نظر أخرى حتى نصل الى حقيقة واضحة تخرج بالشعر العربى من المأزق الذى وصل اليه .

ولعل القارىء الكريم المتتبع لمجلة الفكر يسائل نفسه ويقول : ما الداعى إذن الى العودة الى هذا الموضوع والحال ان مقالا واحدا أو رسالة واحدة لم تنشر مفندة أو محبذة أو مستفسرة لأهم ما جاء فى المقال المذكور من آراء .

والواقع هو أننا فى تونس نعيش فى المجال الادبى فترة غريبة ، ليست هى لمبالاة وركود الحياة الادبية ، وليست هى الحيوية والنقد البناء والغوص فى المشاكل الجوهرية وإنما هى اليقظة بالكتابة فى الصحف والمجلات نقدا وخصاما وسبابا ، ولكن فى أمور هامشية ، أما فى المسائل الهامة التى تقتضى الدراية والمعرفة والشعور الحاد فالقوم يركنون الى الهمس ، والمناجاة واللوم المقنع ، والأسف المبهم والاشارات العابرة والنقد الضعيف المتستر بالوكالة .

فمن هؤلاء القوم من فهم من آرائى اننى أدعو الى كسر بناء اللغة العربية فانبرى لائما أو ذائدا عن كيان هذه اللغة وهو فى الحقيقة غاب عنه انه بموقفه هذا يدعو من دون وعى الى تحنيطها ، ومنهم من لامنى على سكوتى عنه وهو الذى كتب فى الموضوع وأجاد ، ومنهم من اعتبر تفريقى بين اللغة والأسلوب هو مجرد وهم أو هو ضرب من السفسطة .

---

(1) راجع الفكر ـ السنة 14 ـ العدد 8 : فى لغة الشعر العربى ص 713 ـ 716 .

لهذه الأسباب كلها تعمدت الكتابة بزيادة توضيح فى هذا الموضوع الشائك مستندا فى هذه المرة بالذكر والنقد الى أقوال أهم من عالج باب الشعر العربى .

الفروق بين اللغة والأسلوب :

وسيرى القارىء الكريم أن قضية الشعر العربى مربوطة أشد الارتباط بقضية أخرى هى قضية اللغة والأسلوب إذ بدون النظر فيها لا يتضح الأمر ذلك أن مفهوم كلمة أسلوب طرأ عليه من الخلط واضطراب المعنى من العصور القديمة الى عصرنا هذا ما جعل الكثيرين من علماء البلاغة وعلماء اللغة سواء العرب منهم أو الافرنج يركنون الى تحديدات ، إن ظهرت من أول وهلة واضحة علمية براقة ، فهى عند التطبيق أى عند تقييم الكتابات المختلفة ، تظهر عاجزة عن أن تعينك على أن تبين بالضبط مقدار طرافة تعبير هذا وروعته ، ودرجة التقليد فى تعبير ذاك وانطماسه .

فبأى نتيجة تخرج عندما يكتب « بوسيى » (Bossuet) فى خطابه الشهير إبان دخوله الاكادمية الفرنسية : « ليس الأسلوب إلا النظام والحركة اللذين نضعهما فى أفكارنا » أو عندما تقرأ فى أحدث ما كتب عن علم الأساليب هذا التحديد : « إن الأسلوب هو المظهر الذى يظهر به القول والناتج عن اختيار وسائل التعبير المنجرة بدورها عن طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب (2) » فهل تطمئن إذن الى تحديد يفرض عليك ربط ظاهرة الأسلوب بالشخص ، بظروف حياته ، بمزاجه ، بذكائه ، بمعرفته ، بثقافته ، والحال أنك تستشف فى أغلب الأحيان ظاهرة أخرى أو بالأحرى مظهرا آخر لم ينتج عن اختيار نفس الشخص لوسيلة تعبيره ، مظهرا أجنبيا عنه مفروضا عليه . هذه الظاهرة الثانية هى التى أسميها **اللغة التجاوز** وأعبر عنها تجوزا **باللغة** وهى التى يسنها العباقرة من الخلاقين ليستند اليها غيرهم من المجيدين أيضا فيجرون فيها أساليبهم .

لتوضيح هذا أعطى أمثلة :

فى الأدب العربى القديم سجع الكهان وهو نمط من الكلام أى **لغة** فى نطاقها كان الكهان يجتهدون ويستنبطون أساليب عديدة مربوطة بدرجة ثقافتهم وبراعتهم ولكنها لا تخرج عن السنن الذى أرجده من سبقهم .

---

(2) علم الأساليب (La stylistique) ـ سلسلة Que sais-je عدد 616 ـ ص 109 .

وهناك **لغة** الأمثال وفيها « إيجاز شديد الايحاء ، وموسيقى تساعد على الحفظ ، وبعض التعقيد الذى لا يجلوه إلا تفاسير الشراح والمؤرخين » (3) ولكنها وإن كانت غير منسوبة فى الغالب الى أصحابها تتغاير فيها الأساليب.

ثم لا ننس **لغة** الخطابة التى ازدهرت خاصة فى **العهد الأول من الاسلام** فلو نظرت فى أغلب الخطب وجدت أن بناء واحدا يجمع بينها لجعلك تقول إن هذه **لغة** خطبة وليست شيئا آخر ولكنها تتغاير بحسب الأشخاص فى الأساليب وتشتد فى بعض الأحيان طرافة الأسلوب مما يدعو الى القول بأن صاحبه سن **لغة** جديدة فى الخطابة .

وانح نفس المنحى فى **لغة** القصة الموجودة ، فى أيام العرب القديمة .

وأكبر برهان على ذلك هو ما سنه القرآن من بناء جديد فى العربية حتى سماه أهل البلاغة **لغة** قرآنية . وبطبيعة الحال أثرت هذه **اللغة فى** نفوس الكتاب والبلغاء من المسلمين وراحوا يكتبون على نمط **اللغة** القرآنية **بأساليب** شتى متغايرة متفاوتة فى الروعة ولكنها راجعة الى ذلك الأصل ولا يذهبن بك الظن الى أن كلمة **اللغة** هذه يمكن أن تلتبس بمفهوم الشكل إذ **الذى أعنيه** هو وسيلة التعبير لا الهيكل الذى يحتويه التعبير ، ذلك أن **اللغة** هى التى تفرز الشكل بينما الأسلوب يخضع له .

ولعل ابن الأثير فى المثل السائر فى حديثه عن الكتاب يشير الى هذه الظاهرة التى أسميها **اللغة** عندما قال : يجب « أن تكون الفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال ، ولا أريد بذلك أن تكون الفاظا غريبة ؛ فان ذلك عبث فاحش ، بل أريد ان تكون الألفاظ المستعملة **مسبوكة سبكا غريبا** ، يظن السامع أنها غير ما فى أيدى الناس وهى مما فى أيدى الناس ... وهذا الموضوع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وشبيه بالشىء الذى يقال : إنه لا داخل العالم ولا خارج العالم ، فلفظه هو الذى يستعمل وليس بالذى يستعمل : أى أن مفردات ألفاظه هى المستعملة المألوفة **ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب** » (4) .

إذن فالفتح الذى يفتحه العبقرى فى تعبير ما هو الذى سميته **اللغة**

---

(3) الموجز فى الأدب العربى وتاريخه ج : ١ ــ ص : 24 .

(4) المثل السائر لابن الأثير ــ ط القاهرة ــ ج : ١ ــ ص : 73 .

التجاوز (5) وأسميه هنا تخفيفا اللغة وهو بطبيعة الحال كامن فيه أسلوب الكاتب الفذ أى كل ما يتعلق بمزاجه وطبيعته وشخصه • **واللغة** بهذا المعنى هى فوق الشكل لأنها هى الطاقة التى تكيفه وتبرزه للعيان كمظهر كلى لنوع دفقها وفوق الأسلوب لأنه وحده لا يضمن للمكتوب درجة من الابلاغ كبيرة •

وهذه الظاهرة نجدها فى الشعر العربى أبلغ وأشد بروزا ذلك أن أوزان الشعر هى فى الحقيقة لغات متفرعة عن اختيار أول هو الاختيار الأم الذى جعل **لغة الشعر العربى** مربوطة أوثق ارتباط بمفهوم الوزن •

فلكل وزن منها كما أحس بذلك ابن حزم القرطاجنى « طبع يصير نمط الكلام مائلا اليه » مما يبين ذلك « أن الشاعر القوى المتين الكلام اذا صنع شعرا على الوافر اعتدل كلامه وزال عنه ما يوجد فيه مع غيره من الاعاريض القوية من قوة العارضة وصلابة النبع » (6) كذلك « من تتبع كلام الشعراء فى جميع الاعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف انماطه بحسب اختلاف مجاريها من الاوزان » (7) (8)

---

(5) راجع الفكر – السنة 14 – العدد 6 – مارس 1969 – الأسلوب واللغة أو كيف نكتب ص : 502 •

(6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء صنعة أبى الحسن حازم القرطاجنى المتوفى سنة (684 هـ – 1285 م) تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ص : 269 •

(7) نفس المرجع ص : 268 •

(8) من الغريب أن كتاب منهاج البلغاء الذى تناول فى صفحات عديدة مسألة الشعر من حيث الوزن وأتى فيها بملاحظات تكاد تكون عصرية لم يوله الجامعيون الذين كتبوا فى الموضوع عناية كبيرة •

فلقد قرأت فى عدد « الحوليات » الرابع الصادر سنة 1967 دراسة مستكملة حول الدوائر الخليلية للاستاذ محمد اليعلاوى استند فيها الى ما وصل اليه الاستاذ **Gotthold Weil** فى مقال : عروض بدائرة المعارف الاسلامية والى ما ضبطه أيضا الاستاذ ريجيس بلاشير سنة 1960 فى مقال بمجلة أربيكا مستعينا كذلك بمقال « ويل » •

ولقد بدا لى غريبا أن لا أجد من بين مصادر هذه البحوث كلها ما يفيد أن هؤلاء البحاثين اطلعوا على كتاب ابن حزم القرطاجنى بينما المخطوطة موجودة ومعروفة بالمكتبة العبدلية بتونس وفى مكتبات القاهرة وطبعت

أوردت هذا كله لأبين أنه لا مناص من أن نثبت عند كل كاتب أو شاعر مهما كانت عبقريته ظاهرتين اثنتين : **اللغة والأسلوب** ٠ ولكن هذا التفريق بين هاتين الظاهرتين يجرنا عند إنعام النظر فى الشعر العربى الى نتائج عامة جدا ٠

كيف نشأت لغة الشعر العربى :

ليس لدينا فى الواقع ما نعتمده من الشعر العربى القديم الذى يدلنا على الخطوات الاولى التى قام بها الشعراء الاول ، فى سبيل بعث **لغة** شعرية أفرزت فيما بعد شكلا خاصا بالشعر العربى قاد الى مفهوم الوزن الذى بين أيدينا والذى لخصه الاستاذ اليعلاوى قائلا : « إن أساس الوزن فى الشعر العربى ليس تتابع مقاطع صوتية على نسب معينة فحسب بل هو أيضا تتابع ايقاع خاص فى مواضع معينة من كل بحر ٠ فالوزن فى الشعر العربى يعتمد الكمية

سنة 1966 كأطروحة للاستاذ محمد الحبيب بن الخوجة وأشرف عليها الاستاذ بلاشير ٠

والأغرب من ذلك هو أن ابن حزم اشتهر بتأثره فى تأليفه بنظريات أرسطو فى الشعر فجاءت ملاحظاته حول الشعر العربى **عصرية جدا** ولكنها فى ثوب قديم يحتاج الى التعصير ٠ لذلك فان ما وصل اليه مثلا « ويل » من أن الأوتاد هى الأصل فى الشعر العربى عندما قال : « إن أساس ترتيب البحور عند الخليل مزدوج : الكمية الصوتية أولا ، وجنس الأوتاد ثانيا ٠ فالبحور تتفاوت بكمياتها الصوتية ، بمقاطعها وبتنوع أوتادها ٠ فكأن **للأوتاد** شأنا خاصا فى تكييف الأوزان وإعطائها النغمة الخاصة بكل بحر » (النص ذكره الأستاذ اليعلاوى) هو لا يبعد كثيرا عما ضبطه ابن حزم قائلا : « وجعلوا الاعتماد على السواكن وحفظ نظام الوزن بانبثاثها أثناء متحركاته على النحو المناسب وتحصين وضعه من الاختلال باعتراضها فى المواضع المقدرة لها وامرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوة والجزالة عند توقع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة **الأوتاد** التى تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه » (المنهاج ص 251) ٠ لهذا فانى أعتقد أن « المنهاج » منجم يحتاج الى أعمال كثيرة : أولا : توضيح استنتاجات ابن حزم بلغة عصرية ، ثانيا : المضى الى أقصى حد معه فى ملاحظاته ٠ وبذلك تنكشف أسرار عديدة لا تزال تحيط بلغة الشعر العربى ٠

الصوتية من جهة ، ويعتمد وقعا عروضيا مضبوطا من جهة أخرى » (9) • مع الملاحظ أن القافية لها أهمية كبيرة فى تلوين الوقع العروضى •

هذا الوزن الذى انبثق عن لغة شعرية ما فى سحيق العصور كيف نشأ ؟ وهلا يمكن أن نفترض افتراضا ، إن عجز على أن يوصلنا الى الحقيقة ، فهو على الأقل يفتح لنا أبوابا من النظر تقودنا الى فهم وضع الشعر العربى اليوم ؟

لا بد أن هناك بذرة أولى كانت هى الانطلاقة نحو لغة الشعر العربى التى بين أيدينا • فما هى ؟

يقول ابن رشيق فى العمدة (10) : « وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزا وقطعا وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجىء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة » •

ويقول فى موضع آخر : « قال النحاس القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذى ليس برجز » •

بين هذين القولين يكاد يكون التضارب فى الظاهر • غير أنه يمكن ملاحظة الأمور الآتية فيما يخص أمر الرجز الغريب :

أولا : إن هناك خلطا ظاهرا بين الرجز كبحر من بين البحور المعروفة وبين الرجز كنمط من أنماط الشعر مخالف للقصيدة إذ أنه فى كلتا الحالتين نجد الوزن هو هو • فالنماذج الواردة للرجز كنمط لا تختلف عن القصيدة إلا فى شواهد قليلة •

ثانيا : تنكر الشعراء المقصدين فيما بعد للرجز وإضفاء كلمة راجز لمن يتعاطى هذا الشكل وحرمانه من لقب شاعر •

ثالثا : انبناء الرجز فى الشواهد القديمة على الشطر فقط •

رابعا : قدرة تفعيلات الرجز كبحر على التحول والتغير فمستفعلن يمكن أن يلحقها من التغيير ما يجعلها تصير : مفاعلن ، متفعلن ، فعلتن ، مفعولن ، فعولن • وهى قابلية لا نجدها فى أى بحر من البحور •

---

(9) الحوليات – العدد الرابع – سنة 1967 •

(10) العمدة – الجزء الاول – ص : 164 •

هذا كله يجعلنا نميل الى القول مع الرواية القديمة بأن الرجز سواء كان نمطا أو بحرا أى شكلا كان فى الأول نقطة انطلاق **لغة الشعر العربى** ٠

فيمكن أن أتصور التطور كما يلى حسب النماذج التى اتفق الرواة على أنها قديمة جدا :

ظهر الرجز فى الأول فى قالب شطر فى آخره قافية كبذرة فى **لغة** الشعر العربى ٠ وبما أن الشطر فيه بدائية وسذاجة وايقاع ضيق تفجر فصار شطرين بقافية فى الآخر ٠ وبهذا أكمل دائرة الايقاع فاتسعت الى ست تفعيلات بينما كانت فى الشطر إما تفعيلتين أو ثلاثا ٠ وبقى هكذا دهرا طويلا ينسج على منواله ٠ غير أن تفعيلات الرجز بحكم مرونتها ، وهى كمادة خام ، مكنت العباقرة من شعراء العربية من ان يفجروا هذه اللغة الاولى للشعر التى صارت فى شكل بيت ذى شطرين فى آخره قافية ، الى لغات أخرى ظهرت فى شكل أوزان جديدة بامكانها أن تتولد عنها لغات أخرى ٠ وهذا لم يقع بطبيعة الحال إلا فى ظروف معينة من حياة الفرد العربى تتجدد فيها الايقاعات وتتطور وتتعقد ٠ لهذا فان ما وصل اليه الشعر العربى فى شكل قصيدة يدفع الشعراء الى أن يتنكروا الى النمط القديم وهو الرجز ٠ على كل فان الرجز حرى بان يدرسه من هذه الوجهة أهل الصناعة دراسة مستفيضة ربما تكشف لنا عن أسرار تنقلنا من باب الافتراض الى باب اليقين ٠

هل كان من الممكن أن توجد لغة أخرى للشعر :

قد يميل القارىء الكريم الى هذا الافتراض وقد يستنكره ويدحضه دحضا ولكنه يكون معى عندما أقر أن هذه اللغة الشعرية مهما كانت صورة بدئها ومنطلقها هى مربوطة بالوزن اذ هو : « ضرورى للشعر لا غنى عنه ٠٠٠ متصل كل الاتصال بماهيته وجوهره [وهو] أداة من أدوات التعبير فيه » (II) ولكن هل يبقى معى اذا قلت له أن هذا الاتجاه أى التسليم بأن الشعر العربى لا يمكن إلا أن يكون على وزن من الأوزان أصبح اليوم محل مناقشة وجدل ؟

قال الاستاذ البشير المجدوب فى كتابه « بذور » ص 184 : « أليست الأوزان التى ابتدعها العرب فى جاهليتهم صورا لحركات أنفسهم وسكناتها ، نسخة من النغم الداخلى المتلجلج فى صدورهم إزاء مظاهر حياتهم البسيطة الساذجة ــ حياة الفطرة والبداوة عبر البيادى الموحشات الخاليات ؟ ؟

(II) فى الشعر ــ أحمد عبد السلام ــ المباحث ــ عدد 34 جانفى 1947 ٠

أم ندعى لها قيمة مطلقة ونخلع عليها صفة الخلود كما لو كانت شيئا منقطعا عن العصر والبيئة تتجاوزهما الى أبعد حدود التجاوز » ٠

ذلك أن أدباء العربية القدامى ظنوا أن لغة الشعر هذه أى الوزن بالنسبة للشعر إنما هى منبثقة من عبقرية العربية كالنحو بالذات ٠ فأنت لا تتصور العربية عربية إلا إذا بقيت على ذلك النحو من نحوها وأنا أذهب معك فى ذلك وأعتقد أن النحو بالنسبة لكل لغة من اللغات هو روحها وهو عبقريتها ٠ ولكننى لا أذهب معك عندما تضع الشعر فى نفس مقام النحو ، إذ الشعر هو **لغة** كلغة الخطابة ولغة الأمثال يخضع الى النحو الذى هو القاسم المشترك بين كل وسائل التعبير ٠ فاذا صح هذا وجب إذن أن نقول بان بيت alexandrin فى الشعر الكلاسيكى الفرنسى هو منبثق من عبقرية هذه اللغة ولا يمكن أن يتصور شعر إلا على هذه اللغة بينما نحن نعرف أن هناك شعراء عباقرة قلبوا ظهر المجن للغة الشعر القديمة ولا يمكن لأى كان اليوم أن يسلبهم لقب شعراء مدعيا أنهم تنكروا للغة واحدة من الشعر كانت مفروضة عليهم ٠

فاذا كانت لغة الشعر ليست مثل النحو منبثقة من عبقرية اللغة فمن المنطق أن يفترض الباحث امكانية ايجاد لغات أخرى للشعر ٠ أى أنه لا يرى مستحيلا أن يكون العرب فى أول أمرهم قد اختاروا عوض لغة الشعر الخاضعة للوزن لغة شعرية أخرى تخضع لقيود أخرى لا يمكن أن يأتى بها إلا عبقرى ٠

الوزن الواحد لا يحتمل إلا تجربة واحدة :

فاذا كان العرب من القديم قد سجنوا انفسهم فى هذا الاختيار الأول فانهم فى الحقيقة حاولوا بطرق عديدة استنفاد هذه اللغة بتوسيع مفهوم الوزن الى أقصى درجاته ٠ « فلم تكن أوزان الشعر يوما منحصرة فى حدود ضيقة وما الزحافات والعلل التى أدخلها الشعراء على هذه البحور وما البحور المجزوءة والمنهوكة إلا مظاهر لهذا التوسع فى الوزن » (12) ٠

ولكن هذا التوسع فى الوزن له حدود إذ وصل الى 67 وزنا (13) فقط لا

---

(12) فى الشعر – أحمد عبد السلام – مجلة المباحث – عدد 33 – ديسمبر 1946 ٠

(13) حسب إحصاء Gotthold Weil فى دائرة المعارف الاسلامية – الطبعة الجديدة ٠

يمكن للشاعر أن يزيد عليها • وحريته بقيت محصورة عندما ينوى النظم فى أحد هذه الأوزان فى اختيار القافية وادخال بعض الزحافات والعلل فى الحشو •

وهنا يتضح أكثر الفرق بين اللغة والأسلوب • إذ أن الشعراء الأفذاذ الذين خلقوا ، من لغة الشعر الأولى أى الرجز ، **لغات** أخرى تحولت عند الشعراء الذين أتوا بعدهم قوالب وأوزانا لم يتركوا لهؤلاء إلا الحرية فى إظهار **الأسلوب** وهو مشدود بالتالى الى اللغة التى استند اليها •

وفى الحقيقة هذه الحرية كامنة فى البحث عن المثل الأعلى لكل وزن إذ قدرة الشاعر العربى وعبقريته انحصرتا بعد أن ظفر من قبله باللغات السبع والستين ، فى اختيار القافية الملائمة لذلك الوزن التى تحتم بدورها نوعا من تجانس الألفاظ وتناغمها وتلاؤمها كما قال ابن حزم القرطاجنى : « التلاؤم يقع فى الكلام على أنحاء منها أن تكون حروف الكلام بالنظر الى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة فى حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذى يقع فيه خفة وتشاكل ما » (المنهاج ص 222) • فكأن هناك سباقا بين الشعراء فيمن يكون له الفوز بالقافية الملائمة لذلك الوزن • فأنا عندما أشاطر الأستاذ أحمد عبد السلام فى قوله : « إن الألفاظ تدخل فى البحر الذى تنظم فيه شيئا من التغيير فى هيكله • إذ أن الصوت يقف بالبيت فى مواقع تختلف باختلاف الألفاظ فيجزئه الى مقاطيع تختلف طولا وقصرا » (14) لا أشاطره فى أن هذا التغيير بالنسبة للوزن مرغوب فيه دائما خاصة اذا هو حاد عما يتطلبه ذلك الوزن من قافية خاصة وتناغم وتلاؤم وتجانس فى الأصوات • وإلا كيف يمكن تفسير ظاهرة المعارضة ؟ فاذا أخذ الشاعر قافية ما ووزن ما ونظم فيهما ثم عارضه فى ذلك شاعر آخر فانك لو ضممت القصيدتين بعضهما الى بعض أو خلطت بين أبياتهما لما فطنت الى الفرق بينهما من حيث الموسيقى والتناغم ، اللهم إلا بالمعنى • فهلا يدل هذا على أن الألفاظ فى الوزن الواحد هى مسجونة مقهورة فيه لا حول لها ولا قوة؟ وبالتالى هلا يدل ذلك أيضا على ان الاختيار فى الوزن الواحد محدود وأن الوزن له امكانيات فنية محدودة على الشاعر أن يظفر بها ؟ وهلا يدل أيضا على أن الألفاظ مهما اختلفت فانها اذا أقحمت فى وزن واحد بقافية واحدة تعطى موسيقى واحدة وإيقاعا واحدا •

وهلا فطن ابن حزم الى هذا عندما قال : « ويجب أن تعلم أن أبيات الشعر وإن كانت أواثلها منفصلة عن أوائلها [كذا • ولعله يريد أواخرها] فان النظام

(14) المباحث ـ ونفس المرجع •

فيها في تقدير الاتصال على استدارة اذا كان وضع الأوزان الشعرية وترتيبها ترتيبا زمانيا لا يمكنك فى أن ترجع بالنهاية الى زمان المبدإ بل تكون بينهما فسحة من الزمان ولا بد » (15) ٠

ولهذا فان الوزن الواحد المضبوط قبليا بنوعية موسيقية خاصة معينة لا يحتمل حرية كبيرة فى إختيار القافية بل يفرض على الشاعر علاوة على النفس والطبع وغيرهما أن يتوفق فى اقتناص القافية الملائمة وإلا فان عمله وإن أجاد فيه لا يكون تاما بأتم معنى الكلمة ٠

ولهذا فانك لن تجد فى الوزن الواحد إلا قصيدة رائعة واحدة والاخريات فهى تتفاوت فى الروعة الفنية الموسيقية وتحس بأن معانيها « فوق قدر الوزن » أو دونه ٠

وهذا الاحساس أحس به ابن الأثير المتوفى سنة 637 هـ. فمضى فى كتابه المثل السائر يسوق لنا نماذج دبجها بيراعه مستندا فيها الى أبيات من الشعر لفحول قصروا فيها عن تقصى المعنى وإكسائه الحلة الفنية فيقول فى هذا المعنى ولعله أول من استعمل لفظة كيمياء قبل « رامبو » : « ومن سبيل المتصدى لهذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكسير فى صناعة الكيمياء ٠ ثم يخرج منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة » أو عندما يقول : « ومن هذا الضرب الذى هو الكيمياء فى توليد المعانى » (ص 106 – 107) ٠

الخروج من سجن عمود الشعر :

ولقد تفطن الشعراء وخاصة منهم الأندلسيون الى أن القافية الواحدة فى القصيد تسجنهم فى وزن واحد من الشعر أى لغة واحدة لأن القصيدة رغم القول باستقلال البيت ، هى وحدة تامة لا تستقيم إلا بكليتها ٠ وتفطنوا أيضا وهم الذين سلموا بلغة واحدة للشعر العربى أى الوزن أنه لا يمكن استنباط لغات أخرى للشعر العربى إلا بالتلاعب بالقافية بحيث أن القوافى الموجودة فى غصن من أغصان الموشح تساوى فنيا ومن حيث الكمية الصوتية قافية واحدة حتى يمكن لهم أن يبقوا فى دائرة الوزن الذى اختاروه ٠ ولهذا السبب فان الحرية المطلقة فى اختيار القوافى بالنسبة للموشح تؤدى الى الفشل والدليل على ذلك أن الموشحات التى بقيت تنشد كشعر لا كمادة للغناء هى

(15) المنهاج – ص 255 ٠

قليلة بينما الأخرى لم تثبت لأن أصحابها لم يتوفقوا الى جعل جملة القوافى المستعملة فى وزن ما تساوى القافية المتلائمة مع هذا الوزن ٠

بهذا أمكن للوشاحين أن يدخلوا فى الشعر العربى روحا جديدة بتفجير لغة الشعر القديمة الى لغات أخرى فخرجوا بفطنة وذكاء من سجن القصيدة ٠

ومرت قرون فضاق شعراء العربية مرة أخرى وطلعوا علينا بالشعر الحر ٠ قال الاستاذ عبد العزيز قاسم فى خصوص الشعر الحر : « ما يتميز به الأسلوب الجديد هو رفض البحور والتمسك بالتفعيلة يستعملها الشاعر حسب مشيئته فوقع تعويض البيت القديم ذى المصراعين ببيت غير مضبوط الطول إذ يتمطط فيه عدد التفعيلات ويتقلص حسبما يتطلبه المعنى المراد التعبير فيه ٠ فالصورة أو الفكرة التى تحتاج الى تفعيلة واحدة نقف بها عند حدود تلك التفعيلة ونشكل بها بيتا مكتملا يجوز أن تعقبه أبيات ذات تفعيلتين أو ثلاث أو أكثر وفقا لمتطلبات المعانى ٠ وهذا الشعر يستعمل القوافى كذلك ، ولكنه يستعملها بمرونة كبيرة فهى تتنوع وتتعدد وقد تتلاحق وقد تتباعد فى غير نظام مسطر ٠ والملاحظ أيضا أن الشعر الحر بحكم تقيده بالتفعيلة لا يستعمل إلا تفعيلات البحور الموحدة التفعيلة ، وهى سبعة : الرمل ، الهزج ، الرجز ، الكامل ، المتقارب ، الوافر ، والمتدارك ٠ وعلى هذه الاعتبارات فان الشعر الحر ليس حرا بأتم معنى الكلمة » (16) ٠

بهذا فان الاستاذ عبد العزيز قاسم عبر بوضوح عن عزيمة أصحاب الشعر الحر على التجديد فى هذا الباب ولكنه اكتفى بعرض وجهة نظرهم ولم ينقدهم من حيث التقنية ولم يبين الأوهام التى وقعوا فيها ٠

فما معنى رفض البحور والتمسك بالتفعيلة ؟ أليست التفعيلة هى جزء من دائرة كاملة تتكرر ؟ فلو فرضنا أنها لا تتكرر فى عدد مضبوط حسب كل وزن هل كان من الممكن للخليل أن يظفر بها ؟ التفعيلة وحدها لا معنى لها ويمكن أن نجدها فى النثر الفنى الموقع أيضا ٠ ولهذا فان الشعر الحر إما أن يبقى فى دائرة الوزن بقطع النظر عن طول البيت (17)

---

(16) عوائق خاصة بالشعر العربى ـ مجلة الفكر ـ السنة 14 ـ العدد 9 ـ ص : 8 و 9 ٠

(17) يمكن مثلا أن نكتب موشحة ابن سهل هكذا :

هل درى
ظبى الحمى
أن قد حمى

وحين ذلك لا يمكن له أن يرفض البحور وإما أن يكسر الوزن بالتلاعب المفرط بالتفعيلة وعند ذلك يخرج عن لغة الشعر الأولى الى لغة أخرى لا يمكن البت فيها هل هي شعرية أم لا إذ هي آنبنت على أساس مزيف ٠ وهذا ما جعل الكثير من الشعر الحر لا ينتسب الى الشعر بسبب لأن حريته هي ضرب من المغالطة والزيف ولأنه لم يتحرر مطلقا أو هو ركن الى فوضى لا تنبنى على قاعدة ايقاعية ٠

لهذا أكاد أجزم أن القطع الناجحة من الشعر الحر ، أى المتضمنة للايقاع والموسيقى وهما من المقومات الضرورية لكل شعر ، لم تخرج عن دائرة الوزن القديم وعن لغة الشعر العربى وهى فى الواقع ذهبت فى الطريق الذى خطه الوشاحون الأندلسيون فى التلاعب بالقافية ٠

إذن ليكون الشاعر العربى منطقيا مع نفسه وواعيا حقيقة بمسؤوليته الفنية يجب عليه أن يختار إما لغة الشعر القديمة أى البقاء فى حدود الوزن (شعر عمودى ، موشح ، شعر حر أصيل لا الزائف منه) أو أن تكون له من القدرة والعبقرية ما يجعله يأتى بلغة شعرية جديدة وهى ممكنة عقلا (18) وواقعا إذ بدأ الكثير من الشعراء الشبان يشقون طريقهم فيها بعدة فنية قوية ٠ فهل سيوفق هؤلاء عندما يكتبون فى غير الشعر العمودى والحر الى خلق لغة شعر جديدة ؟ من يدرى ؟

البشير بن سلامة

قلب صب حله عن مكنس
فهــو فى حــر
وخفــق
مثلمــا
لعبت ريــح الصبــا بالقبس

ونقول إنها من الشعر الحر إذ الكثير من القطع الناجحة فى الشعر الحر هى مكتوبة بهذه الطريقة وهى فى الحقيقة لم تخرج عن دائرة الوزن أى لم تتنكر للغة الشعر الأولى وانما تلاعبت بالقوافى بصورة جعلتها وحدة فى تنوع ٠ فهناك فى المطلع قافيتــان : مى والسين ، ولكن الشــاعر للمحافظة على ما فى دائرة الوزن من تشبث بوحدة القافية كــرر نفس القافية فى صلب البيت ثــلاث مــرات : رى ــ مى ــ مى فأعطى بذلك للاذن صدى القافية الواحدة مبالغ فيها حتى اذا ما لحقت قافية السين ثم التنوين بالكسر فى صب ، حر ، خفق ، عدل شيئا ما من هذه القــافية فأصبحت مناسبة متناسبة مع روح الوزن ، ولهذا فانه قل أن نجد مطلعا فى مثل هذه الروعة الفنية ٠ ولكن الشاعر بعبقريته استكمل فى هــذا الوزن عدته الفنية من جميع النواحى حشوا وقافية فأتى رائعا ٠

(18) راجع ما كتبته فى هذا الباب فى مجلة الفكر ــ السنة 14 ــ العدد 8 ٠

النسر المقعد

قصة بقلم : الطاهر قيقة

أقدم نفسي • أنا فرخ • فرخ من فراخ النسور • أحل هنا بهذا العش لم أبرحه منذ كسرت بيضتي • وهذان أبواي اللذان يرعيانني مذ كنت صغيرا لا أفقه الى أن طعنت في السن أو كدت • وقد اطلعت على ما يجري في الدنيا بأسرها • سمياني البارك لاني لم أنهض ولم أغادر عشنا ولو لتبديل الخطى على أقرب الصخور اليه وسمياني الاصفر لان ريشي قد حافظ على لون مح البيض لم يبدل بغيره • أمي هي التي تأتيني بالطعام : تنطلق كل يوم من وكرنا فتحلق فوق السحاب منقبة باحثة • أدركها الآن الاعياء والهرم فثقلت حركاتها واضطربت خبطات اجنحتها في طيرانها واختلجت انفاسها ولكنها ما انفكت تعود بالفريسة الدامية الحية النابضة فيلتهم أبي نصيبه وتزقني أنا • أفتح فمي فتغرس في حلقي منقارها وتدفع فيه الاشلاء فتنزل سخنة من حلقي الى حوصلتي وابقى طول الليل اتغذى بها •

أبي عاطل عن العمل لا يرتزق ما دامت أمي تكفيه المؤونة • كان تكاسله وتواكله على قدر اعتداده بنفسه وثقته بقوته • كان يحافظ جهده على الصورة التي رسمها لنفسه ولغيره • فكأنه لم تنل منه الايام • كان مقتصدا لحركاته مروضا لعضلاته يستغل جميع امكانياتها دون جهد ولا اجهاد • وكان يحلق كل يوم لحظات لا يغيب فيها أبدا عن ناظري فيبهرني بطيرانه المهرجاني القوى الرتيب • ثم يقع على صخرة يتفلى في واضح الصبح •

كان لي اخوان : أولهما أشقر غليظ عاف الزق في عهد باكر فكان لا تهدأ له حركة حتى يلفظ بما تقذفه أمي بمنقارها في حوصلته وكان يمد بعنقه خارج العش ويصوب بمنقاره الى أسفل فيحدق طويلا في الاودية والسهول والمنحدرات • وكانت أمي تنهره وتدقه بمنقارها حتى يبتعد عن جدار وكرنا وكان يعود الى مكانه في حركة جانبية وهو يحرك عنقه يمينا وشمالا رافضا مستنكرا • ونبت له ريش صلب قوى نما في سرعة عجيبة وفي يوم من الايام أطل برأسه ثم بعنقه ثم بأعلى صدره فانحدر وتدحرج طويلا بين الصخور الى أن دق عنقه • وحزنت أمي أما أبي فقد طأطأ برأسه وأمسك طويلا كأنه يتعظ •

هذه عظامه فى المنحدر بين الصخرتين عن يسارنـا • كم من مـرة رأيت أمى تخفق بجناحيها حول الركام كأنها تحييه •

كان أخى الثانى فرخا لونه فى لون الربى لطيف المنظـر مضطـرم العينين تطعمه أمى فيجد فى ذلك متعة ولذة فاشتد وتماسكت عضلاته وكثر ريشـه وكان ريشا ناعما كثيفا • وكان حالما عابثا لعوبا • يحرك جناحيه دون انقطاع ويدفعنا برأسه ومنقاره فنتقلب فى الوكر بين عظـام الفـرائس والاخشـاب والحصى واذا سكن اشرأب بعنقه الى السحب السائرة يتبعها بالنظر أو سدد بعينيه كأنه يريد أن يكتشف ما وراء جلباب السماء ••

وعندما يخيم الليل وتأوى أمى الى العش ويلتحق بها أبى قافزا من الصخرة المجاورة ويمدان جناحيهما فى شبه عناق محتضنين بهما فراخهما كنت كثيرا ما أحس بأخى الاغبر قد أخرج رأسه من الفجوة بين الجناحين لينظر الى السماء ونجومها المتناثرة وكواكبها السيارة • كانت أمى تعتنى به أكثر منى وتدس برأسها فى ريشه الناعم ثم تدور حوله كانها معجبة بجماله وقوتـه أو كأنهـا متوقعة لامر فتريد أن تأخذ منه عيناها ما تستطيع • وسرعان ما أخذ يتخطى فوق الصخور المجاورة ويقفز م نصخرة الى أخرى فى حركة تشبـه الطيـران ممتحنا قوى عضلاته • كان أقوى ثلاثتنا وكان اذكانا واجملنا • ويوم دق عنق أخى الاشقر وعادت أمى فزعة تصفق بجناحيها فوق وكرنا أخذنا نطوف فى العش يهزنا ريح جناحيها فنصطدم • وكان أخى الاغبر يكثر من تحريك جناحيه كأنه يريد أن ينطلق يومها • وفى فجر يوم استيقظنا ولم نجد أخى الاغبر كأن السماء ابتلعته • وفزعت أمى ونظرت الى أعلى وصفقت بجناحيها وطارت فى خط عمودى كأنها لم تكن تتوقع من الاغبر الا اختراق طبقات الفضاء وصعدت الى ان امست نقطة سرعان ما ذابت ثم خارت قواها فسقطت فى الوكر متهالكة ولم تفق يومها م نسبات عميق كأنه الموت بعينه • ومن الغد بدأت أمى تفقد ريشهـا •

* * *

وانفردت بالوكر ومرت علينا السنون سمانها وعجافها • وصرت انتهى الى أقاصى العش لاجيل النظر فى الجبال المجاورة والوهاد فلم تنهرنى أمى لانى أمسيت طاعنا فى السن • ورغم مرور الزمن لم ينبت لى ريش وبقيت فرخا أمد عنقى كل يوم لأمى فتزقنى • وكان الاعياء باديا عليها رغم جلدها فاصبحت لا تقوى على كبار الفرائس • فبات طعامى وطعام أبى فراخ الدجاج والسلاحف •

وكنت لا أجد فى نفسى ميلا الى مغادرة العش بل كانت بغيتى الوحيدة أن أعيش فيه مدى حياتى وقد تعرفت على جميع أخشابه وعددت جميع حصاته

وشظايا عظامه وتمرغت على ريش أمى المتناثر فى أرجائه وأنا مشرف من عليائه على العالم الفسيح وقد احتضنتنى وتسربت فى رائحة عنيفة عاتية هى رائحة أوكار النسور اذا تقادم عهدها ٠

* * *

كان أبى محافظا على رياضته الصباحية يطير فى حركات هادئة متقنة يسيرها عقل رصين ٠ وكان يلتقى فى العشيات بشيوخ النسور ٠ كانوا ستة اعتادوا الوقوع على الصخور المجاورة للوكر كل عشية لصاحبة أبى ٠ كنت أراهم يأتون من كل فج عميق ويسقطون على الصخور مصفقين باجنحتهم ثم ينتظمون فى صف واحد منتصبين على سوقهم مطلين على العالم الفسيح الصاخب يبقون هكذا الى الآصال يحركون رؤوسهم ويتحدثون همسا ٠

وكنت استرق السمع الى حديثهم ٠ كانوا يتحدثون عن نوع من المخلوقات شبيهة بالنمل تعددت فعمرت الدنيا ولم تترك فيها شبرا الا احتلته وبنت فيه بيوتها وخطت فيه مسالكها ما رأيت قط احداها ولكنى ذكرت أنى سألت أمى يوما عن الجلبة المتصادعة الينا والانفجارات المخيفة التى تنبعث احيانا من العالم السفلى فى ضباب يشبه السحاب تذعر منه الطيور فتلجأ الى قلل الجبال فقالت لى انهم معمرو الارض انهم البشر ٠ وكنت أرى كل ليلة خطوطا من الأنوار المتلألئة فى اشكال جميلة غريبة تزين السهول والهضاب والربى حولنا وكانت أمى تقول لى عندما أسألها عنها : هذا من صنع البشر ٠ وكنت اشتاق الى رؤيتهم ولكنه يبدو انهم لا يقدرون على الوصول الينا ٠ وحلق يوما فوقنا طائر ضخم ثقيل فى حجم سبعة نسور يصيح صياحا منكرا تصم له الآذان فهزنا الدوى هزا وسألت أمى عنه فقالت : انه طائر يركب فى جوفه ذلك النمل الذى يسمى البشر ٠ فاشتقت اكثر الى رؤيتهم ٠

وكان غالبا ما يجرى حديث شيوخ النسور فى العشيات والآصال حول شؤون البشر ٠ وتحدثوا يوما عن عهد لحقه اكبرهم وهو شيخ أعشى هرم فقد جل ريشه ما عدا قوادم يستعين بها على الطيران ٠ كان ذلك العهد عهد ملك للبشر يسمى سليمان ٠ وكان يفهم لغة النسور ولغة الطيور قاطبة ٠ وكانت النسور فى ذلك الزمان وسائر الطيور تفهم لغة هؤلاء البشر وتتعاون معهم ٠ وكان سليمان هذا قد سخر جميع مخلوقات الله لاكتشاف اسرار الكون وبناء الهياكل والاساطيل والمنشآت ٠ لم يشهد العالم عصرا مثل عصره اتحدت فيه الكائنات ونسقت جهودها فشيدت معالم بقيت حلما نعيد ذكراه ٠ ومات سليمان فاختلطت اللهجات وكانت القطيعة ٠

* * *

زارنا اليوم طائر أسود خبيث يطلق عليه اسم الغراب ٠ وقع ذلك عشية عندما كان شيوخ النسور مجتمعين ٠ دب فى عناء متسلقا الصخور الضخمة يعثر احيانا فيسقط ويلهث كانه أتى من مكان بعيد ٠ وكانت أمى قد عادت يومها قبل الموعد حاملة بين مخالبها حية خبيثة الطعم كادت تقتلها بسمها ٠ وكانت تنظر من وكرنا الى أبى حانقة حاقدة أما نظرتها الیها فكانت مزيجا من الحنان والاسى كأنها تقول لى : متى تنهض أيها البارك ٠

كان الغراب يقترب رويدا رويدا وعيون النسور ترقبه حتى انتهى الى منبطح صغير فاستقام على ساقيه ورفع رأسه وخاطب شيوخ النسور قائلا : « يا معشر ملوك الطير يا من انعزلتم فى أعالى الجبال غير عابئين بمصير سائر اخوانكم فى العالم السفلى ٠ لقد ضاقت بنا الارض على رحبها وانقطع القوت وعمرها البشر واستبدوا بجميع خيراتها ٠ كنا نطير اسرابا تحجب عين الشمس فنجد قوتنا أينما حللنا واليوم اصبحنا هباء منثورا طيورا منفردة هائمة فقدت الشراسة وحب القنص فلا تقوى على افتكاك قوتها ٠

لقد أوفدنى الطير اليكم ٠ هلموا انزلوا اجمعوا شتاتنا وقودوا جموعنا حتى تصبح هذه الارض الغالية ملكا لنا ومستقرا الى حين » ٠

قال كبير النسور : « تبا لمن اوفدوك الينا ٠ ألست الغراب آكل الجيف ٠ ان الله يورث الارض عباده الصالحين ٠ ولا يرجى خير ممن ذلوا حتى حملوا رسالتهم غرابا » ٠

وصفقت النسور باجنحتها وانقضت على الطائر ونتفت له ريشه وعادت الى اماكنها وتدحرج الغراب كرة حمراء تنز دما حتى غاب عن ناظرى ٠

* * *

وتوالت السنون سراعا الواحدة تلتهم الاخرى ٠ وخارت قواى شيئا فشيئا وأمسيت مرتعشا متعثرا لا أتجول فى أرجاء عشنا الا بجهد جهيد ٠ فكثيرا ما كنت ألازم مكانى أياما متوالية ٠ وقد قل طعامى فاقنع بالقليل ٠ أشرفت على نهاية عمرى وأنا فرخ أزغب لم يعظم لى جسد ولم ينبت لى ريش وكانت أمى لا تزال تسعى لتزقنى وتطعم أبى ولكن قليلا ما كانت تعود بما يسد رمقنا ٠ فعرفنا الخصاصة والحرمان ٠

ولكن لم تؤثر الشيخوخة ولا الجوع فى نفسى ٠ لانى شحنتها معرفة واحاسيس وقصصا تقص فى العشيات فحوت الدنيا بأسرها ٠ أحصيت نجوم السماء عدا فى الليالى الطويلة الحالمة ٠ وتملأت عيناى بجميع الوان الطبيعة

واشكالها • وهزت جسدي الرياح العاتية ولامسته هبات النسيم ونغمت فيه ذبذبات الاشعة والاضواء التي ترسلها الكواكب الى الارض حتى أمسيت أصيخ الى نغمات العوالم وهي تسير دون هوادة الى مستقر لها • كذلك أمسيت هادئا مطمئنا طليقا ولم ابرح مكاني •

حن أخي الاغبر في مقتبل العمر الى التحرر ، فغادر العش ولم نعثر له على أثر ولم يعد الينا • لم أبح الى أمي بما شاهدته ليلة فارقنا دون رجعة • رأيته على ضوء النجوم يقفز على جدار العش ثم يمد عنقه في خط مستقيم ثم يضم جناحيه الى جسمه ويسدلهما الى الوراء ثم ينطلق في سكون بسرعة لم أشاهدها قط • وخيل الى ليلتها انه كان يترك وراءه نثار نجوم متلألئة سرعان ما تنطفيء •

لقد لازمتني صورة أخي سنين عديدة • فاز بالحرية لانه كان من عشاقها فكنت أغبطه وأريد أن أحذو حذوه • ولكن ما العمل ولم ينبت لي ريش فلم أقو على الطيران •

واليوم ــ وقد بلغت من العمر عتيا ــ تبدلت نظرتي الى الحرية • ألست حرا طليقا وقد بلغت بعقلي أقاصي الكون وغمرت باحساسي جميع الكائنات وكسبت من التجارب بالرواية والتأمل والاستنباط ما عجزت عن كسبه آلاف من اجيال النسور ؟ !

* * *

طال يومي وتمطط • أمي مريضة لم تغادر مكانها للاقتناص وانا جائع أفتح منقاري للريح • أبي كئيب جائع مثلي لم يقو على رياضته الصباحية وقبع في ركن من اركان وكرنا كأنه غاضب أو يائس • أمي تفتح عينيها أحيانا وهي جاهدة وتنظر الى والى أبي نظرة لوم لطيف كأنها تقول لنا حتى متى أرعاكما وقد أشرفت على الهلاك • انهضا • انهضا •

وأحسست بضيق في صدري وانشق جلباب كان يغشي بصري وادركت اني ضيعت حياتي لاني لم أقدر يوما على اكتساب قوتي بنفسي ولم أقو على اكتشاف ملكوت السماء والارض بنفسي فبقيت عالة على أمي تطعمني مما تكسب من قوت يومها وحملت نفسي تجارب غيري تروى على مسمع مني في العشيات فازدردها لقما سائغة والونها بمشاهداتي وتأملاتي حتى تصير جزءا من كياني •

ولكن ماذا أصنع ولم ينبت لي ريش ؟

* * *

أقبلت البومة مكحولة العينين ممشوقة القد تطير متثاقلة فى هدوء وبطء · وأعجب بها شيوخ النسور فأطلقوا عليها باعناقهم فى حركة واحدة وسددوا نحوها شرار أعينهم · فلما أحست بهم تظاهرت بالذعر فاخذت تصد وتقدم وتفر وتتراجع كأن قوتين قاهرتين تتنازعانها وطرب النسور ·

وقالت أمى وهى بجانبى فى الوكر : « هذه أم البلايا · ما الذى دفع البومة الى مغادرة خربتها لاستفزاز ذكورنا ؟ هل سئمت الحياة فى الخرب فرامت أعالى الجبال تريد أن تحتل فيها مكانها أم خبثت نفسها فأرادت أن تعود الى أهلها بنسر مطيع قد روضته فلان ؟

وتمادت البومة تطير فى حركة مغرية شبيهة بالرقص · ورفع شيوخ النسور اجسامهم يمطوطنها ودفعوا بصدورهم الى الامام واستقام ريشهم بعد أن كان مسدولا فتضخموا وحركوا اعناقهم يمينا وشمالا مبتهجين طربين · وهم أحدهم بها فهجم عليه آخر ثم آخر وطاروا متشاجرين يصفقون باجنحتهم ويهوون بمناقرهم مسددين الضربات القاتلة واصطدمت المخالب بالمخالب وتقلبوا فى الهواء فهبت ريح عاتية وتناثر الريش ·

وذعرت البومة وصاحت صيحتها المشؤومة فكفت شيوخ النسور عن القتال مبهوتين وامتلأت قلوبهم كرها لها فانقضوا عليها ومزقوها تمزيقا بمخالبهم ثم وقعوا على صخورهم وانتصبوا صفا واحدا وعادوا الى احاديثهم وقد شفوا غليلهم فاطمأنوا وطابت أنفسهم ·

وتبدلت معاملة أمى لأبى وهى تضمد جراحه · فظننت انها افنت قواها لاطعامه ولكنها لم تعاشره قط ولم تعتن به · شغلها السعى للقوت عن العيش معه · كانت معجبة بجماله فخورة بقوته لانها كانت تجد فى ذلك لذة ومتعة لنفسها فحظيته سنين عديدة ولكنها لم تجعل نفسها مكانه ولم تحاول أن تتعرف على ميوله وغاياته وأذواقه · وادركت انها كانت ترعاه حبا لنفسها · فندمت على ما فات والآن وقد ضاع عمرها وعمره عزمت على أن تتفرغ له ويتفرغ لها لانه بلغ عمرا لم يبق له فيه الا الحكمة والشبق ·

وأحسست بأن أمى ابتعدت عنى وعزلتنى لانها عشقت أبى لاول مرة فى حياتها ·

* * *

وأصبح العش خلاء بلقعا وتنكرت لى اخشابه وحصاه وشظايا عظامه

وريشه • وآذتنى رائحته النتنة القذر • وهجر أبى خلانه فى العشيات وآثر البقاء مع أمى يناجيها وتناجيه او يلصق رأسه برأسها لينظرا طويلا صامتين الى الدنيا الفسيحة الممتدة تحتنا كأن كليهما يريد أن يلتذ بالآخر ما استطاع عند مغيب العمر •

وأصبحت أمى تنظر الى دون أن ترانى وقد ملأت عينيها صورة أبى •

ثم أبطل أبواى احتضانى فى الليل وانعزلا فى ركن من أركان الوكر كأن ضجعتى تحت اجنحتهما تنغص خلوتهما • ونمت وحيدا فريدا يهزنى البرد هزا •

وأطل عمود الفجر يوما من وراء الجبال الشاهقة باعثا نورا خافتا مزجت فيه الظلمة بالضياء وشاهدت أمى وأبى وقد بلغ منهما الهيام حتى التف العنق بالعنق والتصق الرأس بالرأس فظهروا لى كأنهما نسر ذو رأسين •

وكأن الارض دكت دكا فنفضت أثقالها وكأن السماء انشقت وكشفت عن عوالم ما رأينا لها مثيلا فصحت صيحة عالية داوية وأظلمت الدنيا فى عينى ••

ط• ق•

رثاء القمر

شعر : جعفر ماجد

غَريبٌ على سَطحِ السَّحابِ كئيبُ … لَهُ مِنْ هُمُومِ السَّاهِرِينَ نصيبُ
يُرَاجِعُ أحْلامَ السِّنِينَ كَأنَّهُ … جَبِينٌ بَدَا فِي عَارِضَيْهِ مَشِيبُ
وَيَذْكُرُ أيَّامًا لَهُ كَانَ آمِنًا … بَعِيدًا عَنِ الإنْسَانِ وَهْوَ قَرِيبُ
يُوَاسِيهِ فِي لَيْلِ الكَابَةِ والاسَى … إذَا جَارَ دَهْرٌ واسْتَبَدَّ حَبِيبُ
لَقَدْ كانَ عينًا لاَ تبُوح بما ترَى … وأُذْنًا تَعِي لاَمَا يَعِيهِ رَقِيبُ
وَشَاهَدَ مَنْ مَرّوا ومَا كان منهمُ … وَأمْرُهُم فِي مَا رَآهُ عَجِيبُ
وَظَلَّ أنِيسَ الْحَائِرِينَ كأنَّهُ … خَبِيرٌ بِأسْرَارِ الْقُلُوبِ طَبِيبُ

* * *

أيَا دَمْعَةً جَالَتْ على كُلِّ مقْلَةٍ … وَصَلَّتْ لَهَا قَبْلَ العُيُونِ قُلُوبُ
كَنَيْتَ العُيُونَ النَّازِحَاتِ دموعها … كَأنَّكَ مِنْ جُرْحِ المسيح صَلِيبُ
لَقَد قَتَلَ الإنسانُ فِي الارْض رَبَّهُ … وَأَلَّهَ فِيهَا عَابِث وَخَطِيبُ
تَقَاسَمَهَا الحُكَّامُ مثلَ فَرِيسَةٍ … وَدِيسَتْ بِأقدَامِ الطُّغَاةِ شُعُوبُ
وَلَمْ تَنْجُ يا طفْلَ السَّماء من الاذى … وَلاَحَتْ على الوَجهِ الجميل ندُوبُ
أتَاكَ مِنَ الارْض الشقيَّةِ فَاتِحٌ … وَتَحْتَ جَنَاحَيْهِ دَم وحُرُوبُ
كَأنَّ رِحَابَ الارْض ضَاقَتْ بِشَرِّهِ … فَطَارَ إلَى الاجْوَاءِ وَهوَ طَرُوبُ
وَمِتَّ كمَا لمْ يعْرِف النَّاس ميتة … وَلَفَّكَ صَمْتٌ فِي السَّماءِ رَهِيبُ
وكم عشتَ حُسنا يملأ النَّفس بهجة … فَهَا أنتَ كلْس موحش ..وثقوبُ

— ج - م —
22 مـاي 1969

اثبات أوائل الشهور الهجرية

بقلم : محمد سويسي

بين 21 أفـريل و 27 منه حضر وفد تونسى هام يرأسه الاستاذ محمود المسعدى المؤتمر الاسلامى بكوالالمبور وناقش المسائل المدرجة فى جدول الأعمال ، وكان من بينها « إثبات أوائل الشهور الهجرية » وفيما يلى ننشر كلمة الدكتور محمد السويسى ٠

لمناقشة المسألة المعروضة علينا اسمحوا لنا أن نرجع بعض الشيء الى تاريخ العصر الاول للاسلام ٠ اهتم المسلمون منذ فجر الاسلام بالنظر فى المشاهدات الفلكية وكان الحافز فى البداية على الاشتغال بالفلـك مـا استـوجبه القيـام بالفروض الدينية من التبصر والاعتبار للقيام بها على أحسن ما يرام ٠

فمن ذلك أنه عرض لهم مشكل ينحصر فى تعيين سمت القبلة التى يولون اليها وجوههم وقت الصلاة ٠ وهذا المشكل اعتمد فى حله على الحسـاب الذى تضبط به العلاقة بين دوائر الاطوال ودوائر العروض المارة من بلدة ما ومن مكة المكرمة ٠

كما عرض لهم مشكل تـوقيت الغـروب وما يحيط به من الخطأ بموجب الشفق ، وفى تدقيق مدة الشفق ضبط لاوقات الصلوات خاصة صلاة المغرب وصلاة العشاء ٠ وتبع ذلك تقدير لطول النهار ، وبالخصوص تعيين مدة الصيام فى شهر رمضان ٠

كما رصدوا الاعتدالين الربيعى والخريفى لتدقيق طول السنة ٠ وحرروا ميل فلك البروج وسجلوا ارصادهم فى ازياج متعددة مدققة مضبوطة ٠

ودرس المسلمون حركة القمر ووقفوا على الاختلافين اللذين وقف عليهما قدماء اليونان والهنود واكتشفوا الاختلاف الثالث الذى سمـاه أبـو الوفـاء الموزجانى المحاذاة ٠

وحسبوا طول الشهر القمرى فوجدوه 44 دق 12 سا 29 يو ، وكان عامهم 354 يوما وأحيانا 355 يوما ـ وذاك فى السنة الكبيسة ـ وكان لهم فى كل 30 عاما عام كبيس ٠

ولم ينس المسلمون السنة الشمسية للزومها فى الزراعة وفى المعاملات العامة وفى جباية الضرائب ٠

هذا وأوقات الصلاة اليومية ترجع لحساب الشمس فجرا وزوالا وغروبا وشروقا ٠ والصوم فى رمضان بالحساب القمرى غير ان حصة الصوم مرتبطة بالشمس من الفجر الى الغروب ٠ والحج فى شهر قمرى وحصة الوقوف بعرفة شمسية ٠ والزكاة بعد عام قمرى فى العين وبعد سنة شمسية فى الحيوان وفى الثمار وفى الحبوب التى تجنى مرة واحدة فى السنة ٠

فلزم إذن ان تحسب السنة الشمسية وأن يدقق حسابها ٠

ولاحظ عمر الخيام سنة 1079 أن التقويم اليوليانى يعتبر هذه السنة 365 يوما وربعا وأن هذا الاعتبار فيه من الخطا ما يتراكم الى يوم كل 33 سنة ، فاقترح ان تجعل 39 سنة كبيسة فى كل دورة ذات 161 سنة فتكون السنة الوسطية 365،2422 يوما اى ان الخطأ فى هذا التقدير يتضاءل الى يومين اثنين فى كل 10000 سنة ٠٠٠

وإن نحن سقنا هذه اللمحة الوجيزة من علم الفلك عند المسلمين فللفت النظر الى ان المسلمين لم يتحرجوا من الاعتماد على الفلك فى مواقيتهم ، وأن الوازع الاول لهذه البحوث هو الوازع الدينى ، ثم قصدنا أن نشعر ان الرصد الفلكى والحساب بلغا من الدقة مبلغا بعيدا وأن الخطأ الذى لا يخلو منه كل عمل بشرى قد تضاءل فى هذا العلم تضاؤلا يكاد يصل به الى الصفر ٠

وذاك ما دعا جماعة الشافعية الى القول بأن رؤية الهلال فى بداية رمضان اذا بلغت بواسطة الرصد والحساب تلزم الراصد نفسه والحساب عينه **وكل من كان لهم فيه ثقة صحيحة قوية ٠**

فجعلوا الامر اذن أمر ثقة فى العلم أولا وفى ناقله ثانيا ٠

ونجد عبر التاريخ كثيرا من الدول الاسلامية التى اعتمدت على الحساب الفلكى لضبط المواقيت الدينية ، نذكر منها دولة الفاطميين وبعض سلاطين السلجوقيين ٠

قد تعودنا ، نحن بتونس ، أن نعمل الرأى وأن نستخدم العقل ، فآمنا أن الدين لم يكن ليقوم حجر عثرة فى سبيل التقدم وإنه لم يكن معرقلا فى منهاج الرقى الفكرى والذهنى والاجتماعى ٠ أفلم يحث الله جل جلاله على التبصر والتفكير ، أو لم يدعنا أن « أعتبروا يا أولى الالباب » ، وقديما عرف علماء

المسلمين الاعتبار باجراء التجارب ودرس الحوادث والنظر فى خواص المعطيات الواقعية والاعتماد على نتائج التجارب ٠

واذا ما قيل : « ان المشاهدة أقوى دليل » نجيب بأنها المشاهدة المقرونة بالتفكير ٠ فاذا أبصر مبصر عصا مركوزة فى وعاء شفاف مملوء ماء رآها منكسرة وما كانت فى الواقع بمنكسرة ٠

واننا لنثق بنتيجة العلم أكثر مما نثق بالمشاهدة البسيطة المجردة ، وفى هذا المعنى يقول الغزالى فى الجزء الاول من الاحياء حين يوجب فى الصوم مراقبة أول شهر رمضان معتمدا على رؤية الهلال فيضيف بالحرف الواحد : « ونعنى بالرؤية العلم » أى أنه يعتمد على بلوغ الخبر الى السامع ووثوقه به ٠

فالرؤية البصرية فى نظرنا ليست شرطا فى ثبوت الهلال بل ما هى الا وسيلة للعلم ٠ والمقصد الشرعى انما هو ثبوت الهلال وحصول اليقين بذلك ٠ وقد يرى الرائى الهلال ، مع كونه لم يثبت فى الواقع ظهوره ، فهو لم يشهد ولادته ولم يبصره ، ولكن شبه له أى أنه توهمه ، وحالات الوهم البصرى معروفة فى علم المناظر والبصريات ٠

بلغ علم الفلك من التقدم ، كما لاحظنا ، ما يجعل الناظر فيه موقنا جازما بنتائجه ٠

وفى عصر وصل فيه هذا العلم الى درجة مكنت رجاله من ارسال صواريخهم الى القمر واكتشاف ما على الجانب الذى لا يرى منه ، لم يصبر من المعقول والمنطق ان يقتصر على شهادة شهود قد لم يتمكنوا من رؤية الهلال الا بعد ولادته بليلتين او اكثر ٠

ونضيف الى ذلك ما ينجر عن هذا السلوك من كون البلاد الاسلامية لا تقوم بفروض الاسلام فى وقت واحد ، وتلك الطامة الكبرى ، اذ هى مخالفة لمبدإ وحدة الامة ، الذى هو الناموس الاعظم لكافة المراسم الدينية والطقوس الاسلامية ٠

ونظرت تونس نظرتها التقدمية ، الملائمة للواقع ، الموافقة للروح الاسلامية ، فأصدرت رئاسة الجمهورية بها امرا مؤرخا بالخامس والعشرين من شعبان عام 1379 الموافق للثالث والعشرين من فيفرى 1960 ، جاء فيه :

« حيث أن دخول أشهر السنة الهجرية يثبت برؤية الهلال وان الرؤية لا

تمكن الا فى اليوم الثانى بعد اقتران الشمس بالقمر ، وحيث انه يمكن ضبط الموافقة بين الرزنامة الشمسية والرزنامة القمرية ضبطا مدققا طبقا لقواعد علمية فلكية ثابتة ٠

وحيث أنه يتعين معرفة دخول الاشهر القمرية قبل حلـولها وذلك للقيـام بالمراسم الدينية ، وتنظيم الحياة العامة ٠

أصدرنا أمرنا هذا بما يأتى :

الفصل الاول :

ان دخول كل شهر من أشهر السنة الهجرية ، الموافقة لرؤية الهلال - يقع تعيينه مسبقا حسب التقديرات الفلكية المدققة الصادرة من المصالح العمومية المختصة (مصلحة الارصاد) » ٠

هذه اذن نظرتنا الواقعية الموفقة للقواعد الشرعية ولقواعد العلم الحديث٠

وختاما فانا نتقدم باقتراحين نلخص فيهما وجهة نظرنا :

١) نقترح أن يكون الاعتماد على الرصد الفلكى والحساب لاثبـات الهـلال وامكانية رؤيته وتعيين بداية الاشهر الهجرية (١) ٠

٢) سعيا الى توحيد المواسم الشرعية فى كافة البلدان الاسلامية ، وكى تكون مكة المكرمة - التى يوجه المسلمون قاطبة انظارهم نحوها وقت صلواتهم - هى فى الآن نفسه القبلة التى يولون شطرها وجوههم فى مستهل اشهر فروضهم ، نقترح ان يقام بها مرصد عام تكون حساباته هى الاساس المعتمد لضبط رزنامة عامة شاملة صالحة لكافة البلدان الاسلامية ٠

والله نسأل أن يلهمنا سبل الرشاد وأن يهدينا لما فيه خير الأمة وهو ولى التوفيق ٠

م٠ س٠

(١) وقد جاء فى إحدى توصيات المؤتمر الدعـوة الى تكـوين لجنـة من الخبراء المسلمين لضبط الأشهر القمرية ضبطا علميا بالنسبة لجميـع الأقطـار الاسلامية ٠

الى محمد رائد الثورة الكبرى

شعر : فضيلة الشابي

عيُــونُ محمَّد ... عــوالِمُ عمقْ
سَافرتْ فِي الأشيَـــاءْ
تَبحَثُ عــن أشــلاءْ
أشلاء الانســانْ
المعلَّقة فِي أنيَــاب الــذّئــابْ
فِي مشَــانق الزّمَــانْ

* * *

عيُــون محمَّد اخترقتْ عــوالم الغربه
حيث نُفِــيَ الإنســانْ
حيث لا أَنْهَـــارْ
لا أشجــارْ ...
لا أنْـــوَارْ ...
عيُــون محمَّد أكلتِ الارْضْ
غَــاصتْ فِي أعمــاقِ الجراثيم والمرْضْ
اجتَــازتْ حــدود اللَّيل والنَّهــارْ ...

* * *

عيُــون محمَّد أمطرت العُنْفْ
فِي قمــة الحبِّ
أمطَرت العنفْ
وألقَتْ به في رحم العَــالَمْ

* * *

عنفه ظُفر بـلا إصبعْ
يمزّقُ خـلايَـا الاشْيَـاءْ
يـزعـجُ النومَ فِي أعيُن الاحيَـاءْ
يحفـر المنَـاجمَ فِي السَّمَـاءْ .

* * *

عُنْفُـهُ ... كلمـهْ
لـم تُـدفَـنْ في الكتب الصَّفـراءْ
لـم تعـرفِ الاعيَـاءْ
عنفـهُ دنيَـا
تَتَفَتَّـحْ ... تَتَفَتَّـحْ
عنفـه زهـرة تُـواجه السَّمَـاءْ

ف ـ ش.
13 ـ 6 ـ 1969

المجدوبيات

أو النزعة الجمالية فى « بذور » (*)

بقم : الطاهر اللبيب

دعانى السفر الى مغادرة باريس فنظرت فى مكتبتى مقبلا مدبرا ، ثم وجدتنى أتأبط كتابا تونسيا لأفتحه بعد قليل « والقطار يخب بى خببا » ، واذا أنا أقرأ أول ما أقرأ : « أجيال ثم أجيال ... » ، وكان ذلك كافيا لتعود بى الذكرى الى أرضى الأولى . يا سبحان الله ! ما أغرب الذهن وما أدق أسراره . بأى فعل انفتحت لى هذه الجملة المبتورة ظاهرا عما طال عهدى به ؟ لقد رأيت فيما يشبه الحلم شيخا من شيوخ قريتى يحرك رأسه تعجبا من تلاحق الزمن وتداول الأحوال ويسطر إحساسه رسما فى غاية التجريد على الرمل العطشان . لعل هذه القوة ما نسميه عادة « قوة الايحاء » .

والغريب أنى تنكرت للقراءة الاولى قراءة الاجزاء أواخر الشهور ، وعلمت يقينا أنى لم أقف فيها على لب مكنوناتها ولم أقدر على اكتشاف ترابطها ولم أوفق إلى اتباع تسلسلها . لهذا كان إقبالى هذه المرة أقرب الى التحليل والتأليف منه الى النظر العابر . وإنى وان كنت أعتقد أن النقد لا يكون شافيا إلا اذا تناول مختلف الجوانب وألف بينها بالنظرة الشاملة المحيطة بالابعاد الأدبية والنفسية والاجتماعية فانى حاصر كلمتى هذه فى الناحية الجمالية مضمونا لا شكلا من كتاب الاستاذ المجدوب لاعتقادى بأن النزعة الجمالية فيه طاغية عليه محركة له محددة لأغراضه على اختلاف مضامينها واتساع آفاقها .

وأول ما يجدر ذكره توضيحا أن التفكير الجمالى عند المجدوب وإن كانت له سننه بل وتعاريفه لا صلة له بالصنف العلمى (Esthétique) إلا من وجهة واحدة وهى الادراك الجمالى والحكم الذوقى المسلط على المحسوسات . على أن

(*) « بذور » اشارة الى عنوان الكتاب الذى صدر اخيرا للاستاذ البشير المجدوب (الدار التونسية للنشر) .

هذا الادراك لا يدعى ـ طبعا ـ تركيزا نظريا أو قولبة قاعدية ، وانما يصل الى مستوى التأمل ولا يتجاوزه ٠أما الجانب المتعلق « **بالخلق** » من الوجهة الفلسفية فالاشارة اليه دوما عابرة محسوسة لا معقولة ٠

وإن كان أفلاطون قد ذكر فى « **الوليمة** » (Le Banquet) أن حب الانسان للشكل الجميل يفضى به الى الفعل الجميل وأن هذا بدوره يملى عليه تفكيرا جميلا حتى يصل فى سيره الى « **الجمال المطلق** » ، فان المجذوب ـ وهو لا يدعى الفلسفة بمفهومها الاصطلاحى ـ قد نحا بعقله القلبى أو بقلبه العاقل منحى موازيا فى التوق الى المطلق انطلاقا من المحسوسات ومن الانسان خاصة باعتباره شاهدا عليها مقرا لها حتى أنه لولاه لانعدمت ٠ إذ هو « **مركز الدائرة من اللانهاية** » ٠ لهذا لم يكن الجمال البشرى غاية تجمدها اللحظة كما هو الحال فى أغلب القصص ٠ إنما هو فرجة يطل منها المتأمل على متاهات الفكر ويخلص منها الى آفاق لا تحد متولدة أبدا متواصلة حتى الصفاء حيث يلتقى الانسان بربه ٠ يجب أن نذهل عن كثافة المحسوسات الجمالية و « **نسرح فى عالم الصفاء لا قرار له لنشاهد من هو منـزه عن كل نقص** » (ص : 214) ٠

وقد عبر الكاتب عن هذا التوق الذى لا يذوب فيه الانسان ويمحى ، وانما تستمر فيه كينونته فى استقلال غريب فقال : (الجمال) « **عناق الواحد والكل٠ طريقة الى الكون٠ الى المطلق٠ الى الله٠ فتبارك الانسان فى وحدانيته وكليته** » (ص : 215) ٠

على أنه يجب التنبيه مرة أخرى الى أن هذه النظرة الى « **بذور** » نتيجة البحث فى وحدته ٠ وليس بالامكان الوقوف عليها والتمكن منها رجوعا الى جزء معين منه ٠ إذ هو كل لا يتجزأ وإن استمرت كتابته ما يقارب خمسة عشر عاما ٠ وأنسب طريقة لنقد كتاب كهذا تعددت أغراضه يمكن ان تعتمد « **تحليل المضمون** » أو ما يسميه أهل البحث الاجتماعى والنفسى من الغربيين (l'analyse du contenu) ٠ ومن أشكاله أن نحصى المفردات والتعابير التى يلاحظ تكرارها لترتبط بالمعانى الخاصة بها وترتب حسب وفرتها ثم تكون منطلقا الى تحليل علمى مركز ٠ وهى طريقة لا تزال غريبة عن النقد الأدبى فى بلادنا ٠

إن النزعة الجمالية فى « بذور » قوية الى حد أنه لا يكاد يخلو منها مقال ولو كان حديثا عن الحرب والموت أو رأيا فى الوحدة أو وصفا للارض الكنود ٠

وفى هذا إيمان بأن للاشياء أقنعة تحجب عنا حقيقتها وتحول بيننا وبين اكتشاف « **نسبة باطنها الى سطحها** » ٠ ويكفى أن نتأمل هذه الكلمات التى

برزت فى الكتاب لاعادتها : المرأة - الحسناء - العذراء أو البكر - العرس - أرتوى - أشبع - أعب - السنفونية - ثم : الوجود - القرار - الزمن - المطلق ··· كما كثر استعمال الطبيعة ·

وهذه المفردات مهما تغير موضع ترتيبها كان حاصلها واحدا · لأن المهم فيها إشارتها الى معادلات قارة المضمون · فكما أن الناتج عن جمع 2 مع 3 لا يغيره ترتيبهما ، كذلك تكون العلاقة بين العذراء والعدم غير متعلقة بموضع ذكرهما من الكتاب · فهما إن تعلقا بالحديث عن العيون وهمس الجفون أو تفرقا بين الوجود والفن بقيت العلاقة بينهما ثابتة باعتبار محور التفكير واتجاهه العام لا باعتبار مقتضيات الشكل ·

على هذا الاساس يمكن الربط بين مستويين متكاملين لا يتضح الفرق بينهما للعابر ولكنهما يتميزان تميزا تاما حال النظر فى وحدة الكتاب : المستوى الاول تحدده المعطيات الجمالية كموجودات فى حد ذاتها · فالمرأة والبحر والطبيعة عموما « **أشياء** » لها استقلالها وكينونتها الحيادية · فهى بدوننا لا يناسبها تعريف · إنما الانسان هو الذى يجعل لنفسه من هذه الموجودات صورا يرسمها حسب امكانياته فيكون بذلك قد اتصل بالمستوى الثانى مستوى التأليف أو التجريد ·

فأول عمل إذن أن يتمكن الانسان من طبيعة الأشياء · أن يتصل بها اتصالا مباشرا يميط اللثام عنها فتنكشف له انكشافا تاما · فاذا هو يقف عندها متأملا مستقصيا متعمقا مستلهما · وهذه المرحلة قد تغرى الكاتب ببهرجها فيستسلم له ولا يتجاوزه كما حدث له فى « حديث القمر » · ولو لم يكن لهذا المقال امتداد طويل النفس فى سابقيه ولاحقيه لما كان له مدى · فهو ينتهى هكذا : « **إن للجمال أوجا قصير المدى · الجمال نعيم عابر ، ففز به وتذوق أطاييبه بحرارة العاشق ولهفة المحروم** » (ص : 48) · لهذا وجب الالحاح فى الاشارة الى تأكد الوصل بين مختلف الأجزاء · إذ ليس هنالك أجزاء ·

ولما كان ينابيع الجمال فوارة فى كل وصف وفصل كان فى حصرها عسر وأى عسر · على أن المصدر الأساسى لكل أصناف الجمال لا يعدو أن يكون المرأة كجسد حى نابض شديد الايحاء والاملاء · إنها أوسع زاوية رأى المجدوب منها الطبيعة نفسها بمفهومها العادى قبل أن يصهرها ذهنه وينطلق بها خياله فيكون قد أعاد تركيبها كما سنرى · وهى رمز الجمال وشرط تعريفه · نقطة البدء فى السبيل اليه · فيها ترى الفجر والغروب · وفيها بل ومنها ترى الزهر والبحر · « **المرأة · نعم · وهل يمكن أن نفرد الحسن ونعزله عنها أو نجرده منها تجريدا ؟** » (ص : 210) · سؤال فى منتهى الخطورة · فالانسان يتعرف

أول ما يتعرف على المرأة · هى أقرب كائن اليه مذ يولد حتى يمـوت · وهو مهما ادعى تملصا منها لا يدرك الجمال ولو سما إلا عن طريقها وبالرجوع اليها ·

وحتى لا ينقلب النقد حديثا له شجون أود أن أثبت الجدول التالى مكتفيـا منه بما دل على ما ذهبت اليه من أن للمرأة من « **بذور** » حظا وأى حظ تاركا ما لم يكن لها فيه شريك كعيون (ص : 223) وهمس الجفون (ص : 80) ·

ولو كان فى الظاهر غير مقصور عليها · وإنك لـواجد فى هـذه الصـور المنتقاة حرصا شديدا على تقريب المسافة بين الانسان والطبيعة وبحثا طويلا عما بينهما من تفاعل مشترك · وهى صور لم تخل تماما من تشابيه كلاسيكية كثر استعمالها (ص : 48 و 74 مثلا) ولكن قوتها وطرافتها وجدتها تتجـاوز الأغراض البلاغية وحدود الأسلوب · إنها كامنة فى عكس الاتجاه العلائقى بين الانسان والطبيعة · فقد عودنا أغلب السابقين تشبيه المرأة بأشياء عرفوها أو علقوها ، حتى لكأنها تحتاج بلا انقطاع الى مؤازرة خارجية تؤكد إنسانيتها · أما هنا فلها « قيمة » مستقلة بذاتها · هى كالمرآة تبدو خـلالها الأشيـاء ولا تشكلها · أولئك اسقطوا ظل الطبيعة على الانسان والمجذوب « **أنس** » الطبيعة وأضفى عليها جمال البشر · وذاك من مآتى السلم والحوار الجديد مع مخلوقتنا الضعيفة !· فلقد حرر هذا الكتاب المرأة لأنه حرر الرجل منها · لقد خلصه من سطحياته وحول بصره بطريقة تعويضية أو تصعيدية · وهنا الجدة · ثم من منا لا يسلم بأن شعراء الغزل أو من سميناهم اليوم شعراء الملاح ، أولئك الذين « **فصلوا من جلد النساء عباءة** » كانوا وما زالوا يجمدون المرأة والرجل معا فيجعلون العين فى العين والنهد فى الفم ؟ فهم إن عبـروا عن الكبت فى بلدانهم لم يهتدوا بعد الى حل عقدته واكتشـاف أسـراره ، فبقيت المـرأة فى أشعارهم تعبيرا عن مركبات الجنس التى يعانيها الشاعر أولا ويعانيها وراءه صنف معين من الناس شاءت ظروفهم الاجتماعية أن تكون نظرتهم الى المـرأة بهذا الشكل · وهذا لا ينفى ما فى هذه الأشعار من واقعية بل وصدق ولكنه يشير الى محافظتها الاجتماعية · وإن كتب الظهور لبعض الدراسات فى هذا الباب فنأمل أن تعرج خصوصا على الشعر والغناء لتبين أثـرهما فى تحـديد العلاقة بين الرجل والمرأة وصلتهما بالتحرر من عقد نسميها بأسمائها إذ لا سبيل ولا حل فى نكرانها (لاحظ مثلا مختلف التعبيرات التى يتركها المارة على معلقات السنما فى الشارع أو ما يكتبونه على حيطان المحطات ، واحص ما يقال عن المرأة فى المقاهى واستمع الى عائد من أوربا ثم طالع المحاكمات وتصور مـا يقوم به سكان الريف ···) وليس المجذوب غريبا عن أهله ولكنه تنبه الى أن للمرأة إشعاعا قويا يتسرب الى كل ما تقع عليه العين ويشمله الذهن فاذا هى تنأى على قربها وتفلت من بين الأصابع ، واذا فليس أجـدى من البحث عنها فى غيرها :

ص	الموضوع	الصورة
25	الحرية	خذها بكلتا يديك • ضم جسمها النابض إليك•••هاتان الشفتان• ارشفهما رشفا•••
26	الأرض	رب لم تركتني ثكلى عاقرا إلى الأبد؟ (بمناسبة تفجير القنبلة الفرنسية الأولى في الصحراء)•
29	وحدة المغرب العربي!	كالغادة البكر يسرا وامتناعا •
37	الوجود	لكأنه زوجتك التي انتهكت حرمتها ••• أو أختك التي عريت من بكارتها فتتجنب وتخشى النظر إليها •
39	الاشجار	كأنها الفاتنات الأوانس يتبرجن في حلبة الجمال •
40	الروابي	رواب ••• رواب • ثدي زغب • نهود مقببة مكتنزة حافلة بالزاد •
48	الهلال	كحاجب الحسناء دقة ولطافة •
53	السماء	أنثى صلفة عنود ، تفتن في منعها وتلوين إغرائها •
74	الازهار	كغلالة الحسناء فتنة وغواية (صورة مرتبطة بالمرأة) •
86	الموت	يتتبع في نهم حركاتنا وسكناتنا كانه مع حرمانه يشعر بلذة الوقاع (جنس مرتبط بالمرأة) •
93	الحياة	مومس جليلة أبدا عذراء • عروس عشيقة أبدا نستقي روحها نهلا وحسوا •
97	النفس (حال العزلة)	كأنها الحسناء المتأبية المنوع صادفت فرصة تتملى محاسنها على انفراد •
110	الصحيفة البيضاء	هي الراقصة « فارستك » الحسناء تقول هيا !••• فلتهطل القبلات ضما وشدا • البدار• فلنغمرها لثما وعضا• ولنزدوج••• الجسد إلى الجسد• وليطفح الاناء طفحا ويتفجر في كل صوب ••• . ها هي ذي أمامي صبية عارية كالعذراء الخجول صغيرة حتى لا تكاد تملأ كفي •

من هذه الأمثلة القليلة تتضح المرحلة الأولى من عمل الفنان الجمالي : البحث عن مادته الخام في منجمها الطبيعي • وفيما يليها يستبدل البصر بالبصيرة والنظر بالتأمل الباطني وتتحد امكانيات الانسان اتحادا غريبا يخلص الذهن من رسن الكثافة فتشف المعطيات المادية وتمتد متوالدة كالدوائر في الماء الساكن ولا تموت إلا وقد لا مست ضفة المطلق • وهذا العمل العسير لدقته يعتمد الجهد الأول ويتممه • وهو عظيم الوزن واضح المعالم في « **بذور** » • فالحديث عن الصيف والعرى ومشاهد الفتنة يقترن بالتفكير في قضية الكفر والايمان • فاذا الجانب العقلي بارز في النزعة الجمالية بروزا يحيد بها عن الرومنطيقية والميوعة (انظر الصفحات : 59 ـ 60 ـ 61) • والحديث عن الجفون نهايته اللانهاية • لأن الحسن هو « **الخميرة لا تنفد والبذرة الالهية لا تنى تنتظر لمسة الفكر وشرارة الدماغ لتربو وتهتز وتجيش وتعلو وتخصب عتوا الى درجة الانسان • الى ما فوق الانسان ••• الى اللانهاية** » (ص : 82)• هو ذا الجمال يأبى الحصر • يتحدى قصر الحواس • إنه فلسفة وجود • نظرة نفاذة الى أعمق الأعماق • طريق الى الله والمستحيل معا • وهو مع ذلك من واقع الحياة وأقرب الأشياء إلينا • فان اختفى فنحن عميان • « هو فينا ومنا وهو من حولنا يهب ويدب » • وهل من هذا عجب ؟ أليس الله جميلا وفي كل مكان ؟ !

ولنا أن نتساءل الآن : ما هي طريقة الكاتب في هذه الاستطالة التدريجية الواصلة بين الحس المادي والذوق الجمالي المباشر • وبين فكرة « **المطلق** » • وقبل البحث عن جواب ما تتأكد الاشارة الى أن المطلق في « **بذور** » لا يعنى وجود الشيء مستقلا بذاته منعدم الصلة بافكارنا ، فاذا نحن نكر ونفر أمام اسراره ونغامر ـ في حال الشجاعة ـ بالتيه في منعرجاته المظلمة حتى تفنى فيه ذواتنا لاسقاط إحساسنا وحواسنا عليه • المطلق هنا مرحلة تهيئها التجربة الذاتية ويستمر فيها الانسان حاضرا مهيمنا • لأن الغاية منه ليست إظهار القدرة العقلية للانسان بل التسليم بأنه مركز الامكانيات والاحتمالات والمستحيلات • ليس هو المطلق ولكنه يحوى المطلق ••• وليس أدل على هذا من طريقة الكاتب التأملية : فبالاضافة الى ما سلف ذكره من محاولة إرجاع المعطيات الطبيعية للانسان (والحديث هنا مقصور عن المرأة) يتضح أن الايمان به جر الكاتب الى القول بأنه « **فرد أحد** » و « **أنه ليس أبعد على الانسان من ذاته وجوهره** » (ص : 121) • وما دامت هذه حاله فالأولى به أن يبدأ بمعرفة نفسه وانه لواجد فيها ما يخيل اليه أنه غريب عنها متجاوز لها غير متصل بها•



بيكاسو : المرآة (1932)

« معزول عن نفسه معزول عن الغير . ذلك هو الانسان » (المجدوب ـ أمام المرآة ـ ص 85)

على أن البحث عن الذات فى « **بذور** » لم ينته الى حل معين لأن غاية الانسان فيه المستحيل كما يقول الكاتب ، ولأن المتعة فى « نشوة الهوة » حيث يتسلط الوهم على العقل • وهم مزيج من جمال وقوة وحقيقة (ص : 134) • وهذا الثالوث يؤكد مرة أخرى منحى النزعة الجمالية كما حددها صاحبها ••• حل واحد إذن فى حالة الوهم هذه : أن نحلم • وقد قال المجدوب مخالفا ديكارت : **« أنا أحلم إذن أنا موجود ••• حقيقة لا تقل وزنا وروعة عن حقيقة العمل**

الكادح والتفكير الجدى العميق » (ص : 121) • غير أن من مميزات هذا الوهم أنه واع ومن خصائص هذا الحلم أنه حلم يقظة يراود الانسان حينمـا تتوتـر حواسه ويشتد نفاذها •

وتنبهنا هذه الملاحظة الى ظاهرة متأتية عنها ربطت الى حد الآن بالاسلوب وهى أبعد منه وأعمق • تلك ظاهرة التساؤل • ففى « **بذور** » حوالى 300 سؤال موزعة كما يلى :

ـ 250 منها فى القسم الأول : (خواطر وتأملات) ويحوى 125 صفحة • المعدل : سؤالان فى كل صفحة •

ـ 50 منها فى القسم الثانى (آراء فى الأدب والفن) ويحوى 78 صفحة • المعدل : 0،6 فى كل صفحة •

وفى هذا التوزيع دلالة صريحة على أن تساؤل الكاتب لا يتصل بالشكل بقدر ما يتصل بالمضمون • ولو كان من مميزات الاسلوب لما اختلف وفـرة فى القسمين • ثم أليست المعانى «**هى المثال والنموذج ننحت أساليبنا على أقدارها ونختار ألفاظنا على هدى منها ؟** » (ص : 185) يجب أن نبحث عـن أسبـاب أخرى لهذا التساؤل • وأعتقد أنه مرتبط بعدم الاستقرار الذهنى الذى لا مفر منه فى حالة الوهم أو الحلم عندما يصطدم صاحبها بأبواب الحقيقة موصدة وراء الواقع القريب • السؤال نبش وإثارة • مهماز الفكر الدائم • وقديما ارتأى سقراط أن « **توليد الفكر** » (maïeutique) قد يتم بالقاء أسئلـة على الغير تساعده ـ فى ظروف سانحة ـ على اكتشاف ما يحمله فى نفسه • وهذا مما يبرر مخاطبة المجدوب للقارىء مخاطبة قد يعيبها البعض عليه لاكثاره منها •

وطبيعى أن لا يتصف التساؤل بالسلب ولا بالايجاب ، لأن ما فى الكون نسيج أضداد • فالجمال « يدين بالمتناقضات » ويؤلف بينها لأنه كل لا يتجزأ • والعيب كل العيب أن نبصر جانبا منه ونغض الطرف عن جانب • وهو من وجهة زمنية جسر يربط بين الأبد والفناء • وهو ما عبـر عنـه الكـاتب « **بالمطلق المحدود** » • والانسان عموما أقرب الكائنات الى المتناقضات • « هو كل شىء ولا شىء » (ص : 114) الانسان ذبابة تملك الكون • نقطة هندسية خيالية لا أبعاد لها فى الكون ولكنها أصل كل الابعاد والاشكال الممكنة • أما الوجود « **فقطرة الى تلاش، شرارة الى انطفاء، فسحة وامتداد، ديمومة واستمرار معا** » (ص : 113) •

هذه الديالكتيكية لا تدل فى الواقع عن عجز • وليست هى ـ كما قد يظن ـ

أيسر الطرق الى البحث أو التأمل • فما دام الجواب أن لا جواب فمن العقم أن ننطق بجواب • هذا من وجهة فلسفية • أما فى ميدان الأدب والفن فمفهـوم الديالكتيكية يتشكل فى صورة أخرى هى أيضا سليمة محمودة عبـر عنهـا الكاتب فى نهاية كتـابه فقال : « **وبغير هذه الحركة الجدلية والتردد الآنى بين الجزء والكل ، بغير هذه السرعة الفائقة والمـرونة العجيبة التى هى من أبـرز خصائص الذهن البشرى وامتيازه لا أمـل فى الظفر بحقيقة ما نقرأ أو نستمتع وإدراك سر قيمته ونكهته** » (ص : 217) • وهذا القـول فى الـذوق الفنى ينطبق فى جملة ما ينطبق ع لى كتاب صاحبه • فليس لقارئه إلا أن يؤلف بين أجزائه ويناظر بينها محاولة التعرف على المركب منها • على أن هـذا المـركب نفسه أبعد من أن يكون حاصلة نهائية لمختلف القوى المتعـاكسة • فالكتـاب طريق طويل يمر سالكه بكل ما فى الكـون من متنـاقضات ولكنه ينتهى عند هوة • هو اتجاه وليس بأية حال حلا • وإذا كان المتأمل الحق من أوحى أكثر مما استوحى فنحن تجاه كاتب متأمل حق • وعملنا لا يبتـدىء بالشروع فى « **بذور** » ولكن بعد الفراغ منه •

وأشير مرة أخرى الى ان هذه العجالة قصرت على ناحية معينة صرف اليها الاعتقاد بأن للجمال عموما وللمرأة خصوصا أثـرا واضحـا فى الكتاب بـرر الحديث عن نزعة جمالية حاولت تحديد وجهتها • ومما تبين أن لصـاحبها من سلامة الذوق وحدة التأمل ما يقدر معه على إفراد الجمال بتأليف يجد فى الذات والمجتمع القريب ما يجعل منه خلقـا ممتازا • وعلى هذا الأساس « **فبذور** » لم يكتب بعـد !

ط • ل •

من بعد الضياع

شعر : البشير خليفي

1 ـ .. وأخيرا قد وصلنا .
بعد أن أوغلنا في السير بعيدا ..
ننشد الفجر الجديدا
نزعم الوعد ، وعيدا ..
ومشينا في طريق الوهم عاما
أترانا ما ظللنا .؟
أترى ما خنا هاتيك العهود .؟
لا ، ولا ذاك الغراما .؟

2 ـ وزمانا في فيافي الحب تهنا
لسنا ندري من حياة الناس ظلما
أو نفاقا
أو شقاقا
لا ، ولا فقرا ، وغما
كل ما ندريه أنا قد رهنا
لكيوبيد ، وفينوس اليـ(و)نان ..
وغدونا من قرابين الرهان ...

3 ـ .. وأخيرا قد وصلنا ..
وأطل الفجر بساما علينا .
كالحريق
فمشينا نحو ذياك الصديق ، ،
أترى من أجل هذا ، كنا ضيعنا الطريق .؟
فانصهرنا في براكين الحسد ...

وشربنـا السم مـن أيـدى الـرفيق ..
وسكرنـا ..
فخسرنـا ..
فجرنـا البسـام ، فى صمت الأبـد
وغدونـا
مـن قـرابين اليـ(و)نـان
للهيب ، والضيـاع
والأسى ، والمـوت فى تلـك البقـاع
وانصهرنـا
فى بـراكين الريـاء
وغدونـا ، مـن قـرابين الزمـان ،
والوفـاء ،

4 ـ .. مـا ترانـا قـد جنينـا ..؟
فبكينـا
بدمـوع اليـأس ذيـاك الهـوى
وبكينـا
أمسنـا يـوم هـوى
فى قـرار الغـدر ، فى بحـر الجـوى
وبقينـا كاليتـامى شـردتهم ،
محـن الـدهر ، وإعصـار الـزمن ..
وليـالى البـؤس كـانت حـرمتهم
دفء أحضـان الأمـومه ،
وحنـان الثـدى ، يسخـو باللبـن ..
أترانـا مثلهـم أعطى لنـا الدهـر غيـومه ..
فاحتوانـا الصمت فى دوامـة الحب المـرير .
وانكسرنـا كقـوارير العطـور ..
وقضينـا مثـل مـا تقضى الطيـور ..
مـا ترانـا قـد جنينـا ؟.

صل يا حب علينا ...

5 - وتعالى يا فتاتي ودعيني
واسجدى للنجم بعدى ..
واذكريني ،
واذكرى حبى ، ووجدى ..
واندبى أيام سهدى ..
واذكرى إن شئت عهدى ..
أودعيه ،
للأسى ، يبكى عليه ...
وتعالى ودعيني ... ودعيني ،
لن تعودى تنظريني (؟) ....

6 - فاذا مات النهار .
وتوارى خلف آفاق البحار ،
وتحدى الليل آلاف البشر
وتمطى ، وانتشر ..
كانتشار الرعب يحدوه الخطر ..
سوف أمضى مثل ملاح غريب
فى سماء الحلم ، فى قلب القمر
باحثا فى صمت ليلى عن حبيب
من بنى الكون العجيب ..

ب. خ.

طبرقة فى 2/4/69

الضوء والغبار

شعر : محمد الحبيب الزناد

عِنْدَمَا تَكُونِينَ بِجِسْمِي
فَصْلا مِنَ الحَرَارَهْ
شَهْوَة لَذِيذَة
وَلَذّة مِهْذَارَهْ
كَالعَرَقِ المُنْسَكِبِ
كَالدّمِ فِي جُرُوحِ العِنَبِ
كَالتَّعَبِ ..
أوْ كَانْدِلاَعِ الغَضَبِ ..
أجْعَلُكِ كالارْضِ يَا عِبَارَتِي
رَوْنَقَ تَكْوِيرٍ واسْتِدَارَهْ
ضَوْءا مُعَبّئا بِالحَقّ وَالْبِشَارَهْ ! !

* * *

عِنْدَمَا تُثِيرِينَ فِي دَاخِلِي الْغُبَارَ
وَالكَلاَمَ السّهْلَ وَالمَرَارَهْ
دِمْعَة مِنْ نَدَمٍ ..

وَطَعْنَةَ غَـــدَارَهْ
كَـالـزَّمَنِ المُنْقَلِبِ
كَـــا لحُلْمِ فِيِ ضِفَافِ لَيْلٍ خَرِبِ
كَـــاللَّعِبِ ..
أوْ كَـــانْعِدَامِ السَّبَبِ ؛؛؛
أَجْعَلُكَ كَالمَوْتِ يَـــا خَسَارَتِي
عَـــوَالِمـــا سَاقِطَةً مُنْهَـــارَهْ
وَسُوسَةً فِي هَيْكَلِ الْحَضَارَهْ ! !

م - ح - ز

مجلتكـم التى تساهم فى بعث الثقافة الحق وتحيى تراثنا القـديم وتصلكم بالحركة الفكرية فى العـالم ٠٠٠ عرفوا بها اصدقاءكم ٠٠٠ وساعدوها على تأديـة رسالتهـا الساميـة فانما هى تحيـا من قـرائها ولهم ٠

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

◆ للفن سورة ، للفن صولة كعزة الملك وسكر السلطان

★

◆ مأساة الانسان أنه كل شيء ولا شيء

★

◆ لم يكن الدين الحق أفيونا ٠ ولا تنكرا للعقل وخذلانا بل هو تجاوز للانسان ، واتحاد بالكون ، وتغلغل في أسراره وخفاياه ٠

★

◆ للحياة أنغام تتردد في قلب الصمت وليس كالوحدة لقاحا للفن ٠

★

◆ محنة الفنان انقسامه بين فردية الاحساس ووحدانيته وبين شيوع اللغة واشتراكها ٠

★

◆ الموت موتان ٠ موتنا وموت الآخرين وشتان بين سنة الطبيعة وعبث الوجود

★

◆ من النساء من تريد أن تضحك فتكشر سماجة ٠ ومنهن من تزداد ملاحة وفتنة عابسة متجهمة ٠

وجوه بعضهن يثني على الانسان ويسمو به صنفا ممتازا على حدة ٠ وبعضها يقحمنا في الحيوان نسبا وطينة

★

◆ نحن أحدث سنا ، في قرارة انفسنا منا في الواقع ٠ نجدد اعمارنا وهي قائمة شاهدة علينا ٠

★

◆ تونس بيت صغير متواضع لكنه في مثل اشراق الشمس ومثل زرقة السماء

ب٠ م٠

عجز الحب واللقاء المقبل

شعر : الطاهر الهمامي

(1)
يَـا مُغيِّـرة التَّـاريـخْ
وَيَـا صانعةَ الْعَـالَـمْ
يَـا صانعةَ الاقْمَـارْ
وَيَـا أغْنَى من الارْض وَأسْخَى
مِن سَكْبِ الامْطَـارْ
يَـا مُطْلعةَ النَّهَـارْ
يَـا أيُّهَـا الْفجرُ القَـادِمْ
ابْعَثْنِي . ابْعَثْنِي إلى المرِّيخْ
أنَـا هـَزَنِي الإعصَـارْ
صَـوْرِخْنِي
دَوِّخْنِـي
اصلبْنِي على جبَـال الثَّلْجْ
انثُرْنِـي على النُّجُـومْ
ازْرَعْنـي
لاَ تـدعنْنِي أقُـومْ !

• استطـراد مفـاجيء
رَغْمهُمْ ، غمَـهُم يَنْهَمِـرُ الغَيْثْ
رغمَهُم يطلعُ النَّهَـارْ

تبزغ الشمس علينا ويُفتح باب الدار
تسقط كل الاسوار
رغمهم
تلد الارض وينمو الطلع
يغسل النور عيون الناس
يسكر الماء عروق العطشان
رغمهم
يا وطن الشمس يا صوتي
كبار نحن مذ كنا على الاعدام والموت
رغمهم ينهمر القرآن
ينهمر الحب وتتحد الايدي ويعلو البنيان

(2)

العالم يسجد أمامك
ويصلي على قدميك
يا مغيرة التاريخ
ويا صانعة آدم
العالم
يا فجرنا القادم
يشدني إليك
يشدني اللوم ويدنيني
التوبيخ
انا كتبت
فمن ذا يقوى على التفسيخ ؟ !

كيف ننقد الشعر (*)

بقلم : جعفر ماجد

من السهل جدا ان نفكر في ضبط قواعد لنقد الشعر اذا نحن اعتبرنا الشعر عملا ينتهى حالما يفرغ الشاعر من تقويم وزن القصيدة وتصنيف قوافيها وقد قام النقاد العرب بهذا العمل لانهم كانوا يعدون الشعر صناعة تتوارثها الاجيال حتى اذا هم احد بالنظم اشاروا عليه بالذهاب الى البادية ليكثر السماع ويحكم الحفظ بل ان احد شيوخ أبي نواس وأظنه خلفا الاحمر لما اراد ان يمتحنه قال له ارثني فرثاه وهو حي بما اعجبه فقال اذهب فانت شاعر اى انك ترثى كما يرثى القدماء وغير خاف على احد ان فكرة التطور عند النقاد العرب معكوسة الاتجاه فاشعر الشعراء اقدمهم الجاهلي افضل من المخضرم والمخضرم افضل من الاسلامي والاموى افضل من العباسي حتى ان ابن رشيق يقول فى القديم والمولد القدرة ظاهرة على ذلك وان خشن والكلفة ظاهرة على هـذا وان حسن وهذا الوضع غير الطبيعي هو الذى جعل الشاعر العربي يتطلع دائما الى الماضى ليختار منه نموذجا ينسج على منواله فكل من يمدح يريد ان يكون كالمتنبي وكل من يتغزل يتشبه بعمر ابن أبي ربيعة وكل من يصف الطبيعة يقال عنه بحترى الديباجة لذلك كان كل فذ اصيلا وكل وجه قمرا وكل قد غصن بان واصبح الشاعر يفكر بالكلمات لان طاقاته مكبوتة وخياله مقيد ليس عليه ان يتكلف عناء البحث عن كلمة حلوة أو صورة جديدة فقاموس الشعر محفوظ ومقاييسه مضبوطة والنقد الذى يسمى عادة علميا أو منهجيا لا يعدو ان يكون لونا من هذه المدارس التى تجعل الشعر خاضعا لعمل آلي غايته البحث عن حقيقة ما ليست حقيقة الشاعر بل هى حقيقة هذا الجهاز النقدى الذى لم يشـارك فى وضـع معادلاته ولم يوافق عليها والا اذا كان ينتمى الى صنف من الشعـراء يكتبون بلغة الآخرين ويقدسونها وكل نقد للشعر يحمل فى طياته مفهوما له وليس بامكاننا ان نتحدث عن النقد قبل ان نتفق على هذا المفهوم فالشعـر تجـربة يعيشها صاحبها وهو حر ليعكس صورة للكون من خلال نظـرته اليـه وهذه الصورة لا تكون خاصة اذا لم يستعمل وسائل جديدة واداة الشاعر الوحيدة هى اللغة الا ان الكلمات فى حالة السلب اى قبل استخدامها مادة للخلق جهاز من العلامات المجمدة شبيه بالارقام والعملة واضواء المرور هذه الكلمات تواطأ الناس على مدلولاتها وافرغوها فى معادلات مضبوطة الابعاد ، والشاعر يطمح

(*) قدم هذا البحث فى مؤتمر أدباء وكتاب المغرب العربي المنعقد فى طرابلس من 19 الى 25 مارس المنصرم .

بطبعه الى التعبير عن اشياء توجد خارج اللغة حتى اذا اخفق فى استعمال جهاز اللغة القديم لتحقيق اغراضه فكر فى كيمياء جديدة تحول الكلمات من علامات جامدة الى خلايا قابلة للتبسيط ومستعدة لان تقوم بوظيفة اخرى غير وظيفة الاعلام هى الضغط على طاقات الانسان كالخيال والحواس والذاكرة حتى يتلقى من يد الشاعر عملية الخلق التى لم تتم فيواصلها لان القصيدة دعوة الى الاستمرار فى هذه التجربة ولا يكون ذلك ممكنا الا اذا جردنا الكلمات من تحجرها القديم والبسناها شخصية مطاطة نسميها فيما بعد الطاقة الايحائية ولا يهم ان يكون الشاعر فكر فى هذه الابعاد بل يهم الا يكون قد فكر فيها وقصة المقبرة البحرية لبول فاليرى اشهر من ان تذكر اذا ، حين نرفض ان يكون الشعر تقريرا عن الواقع واخيلة موروثة جمدها الاستعمال والفاظا مميتة تدفع فى القصيدة كبيادق الشطرنج ، لا يمكن ان يظل النقد جملة من المعادلات والمقاييس التى تعرف بها كل الحقائق الا حقيقة الشاعر لا بد للنقد ان يتتبع اطوار تلك التجربة العسيرة ويعرف كيف مزجت تلك الحروف والكلمات مثلما تخلط المعادن وكيف اكتسبت لونا كما يقول رنبو ورائحة وشكلا فتكاملت ألوانها وروائحها واشكالها وبقى الشاعر ينظر اليها عارم الفرحة كانه بيجماليون امام تمثاله العاجى فكيف يستطيع النقد ان يفهمه اذا لم يتتبع اطوار تلك التجربة العسيرة تجربة تفجير اللغة لخلقها من جديد ينبغى ان يصبح النقد فى مثل هذا الحال جملة من النشاطات الفكرية والنفسية تقذف بصاحبها فى قلب تلك التجربة التى لا تحدد فى الزمان ليحياها من الداخل ويقول لنا هل دعانا الشاعر الى عالمه الخاص الى تعلم الكلمة التى استعملها ان بصاحبها فى قلب تلك التجربة التى لا تحدد فى الزمان ليحياها من الداخل الى نتيجتين هامتين :

الاولى : الكلمة لا تكون شعرية من تلقاء ذاتها لانها متضامنة فى محيطها مع كل الكلمات باشكالها وألوانها وأصواتها وكل نقص مخل بوظيفتها التى بيناها يعد عدوا للشعر انما وجه من صورة متكاملة لكنها حية تتأثر وتؤثر فلا يهم ان نحكم على الشعر باعتباره حرا أو غير حر بل علينا ان نتساءل هل ادى وظيفته ام لا ولا شك ان كل نظم سمج وكل حرف متفكك سيقصران تقصيرا فظيعا فى القيام بهذه الوظيفة ·

الثانية : ان كل نقد للشعر ينطلق من الاغراض مناف لحقيقة الشعر ولا يهمنا بالتالى أن يكون ملتزما او غير ملتزم وعلى النقد ان يذكرنا كلما نسينا بان رسالة الشاعر رسالة فنية فالناس كثيرا ما يتحدثون عن أبى القاسم الشابى ويحشرونه غلطا فى زمرة الشعراء الملتزمين لانه ذكر الشعب وأحس بآلام الضعيف وهدد الطغاة ولكنهم لا يقولون أو لعلهم لا يفهمون انه لم ينجح فى تلك القصائد لانه كتبها للشعب بل لانه أحس معانيها بالدرجة التى أحس بها

عواطف الغزل والشكوى اما مذهبه الادبى فقد وضحته مراسلاته الى اصدقائه حيث فصل بين الفن والشعب بلهجة عنيفة وعاتب بعض معاصريه على التقيد بالظروف السياسية وكم سمعنا بعض مواطنينا يلومونه على عدم تفاعله مع عمال الرصيف وعمال الترامواى ولكن قصيدة واحدة للشابى من شعره الذاتى الجيد اعظم وابقى من عشرات القصائد التى كتبها معاصروه فى اغراض شريفة ذلك ان الشابى كان شاعرا والآخرون كانـوا مفكـرين ومصلحين وينبغى ان نفرق بين الانسان والرجل فى شخص الشاعر فالرجل مسؤول امـام أمتـه وبلاده وعليه ان يقدم حياته قربانا فى سبيل المجموعة اما الانسـان ففنـان لا يحكم عواطفه والعواطف لا تولد تحت الطلب ولقائل ان يقول وكيف لا تولد العواطف فى نفسه اذا كانت بلاده فى خطر مثلا فأجيب بان هـذا الاحتمـال مستبعد ولنا دليل على ذلك فى التجربة التى عاشها نزار قبانى بالشرق فقد تعرض الرجل لشتم كثير وكالوا له تهما خطيرة لا تصدر عادة الا عن اهـل التعصب والاستبداد بالرأى مثل الخيانة ونشر الرذيلة حتى اذا اصبح الخطر على شبر منه تحولت ريشته الى خنجر فكان مخلصا لنفسـه ولفنـه فى كلتـا الحالتين ـ وما قول الزارين على الشعر الذاتى فى لويس اراغون وهو من اعضاء الحزب الشيوعى ، ألم تكن جل دواوينه فى زوجته الزا فلم يمنعه ذلك من أن يلتزم سياسيا واجتماعيا فى نطاق حزب كان اول داع الى الالتـزام ولمـاذا لا نستفيد من تجارب غيرنا فاذا كنا نحن حديثى العهد بهذه الفكرة فقد وجد فى العالم من ذاق حلوها ومرها وحصيلة النتاج الادبى فى ظـل نصف قـرن من الالتزام بالاتحاد السوفياتى ليست مشجعة ، واذا بهم اليوم يعودون الى الماضى وينبشون عن القصائد الذاتية لاولئك الذين اضطهـدتهم الثـورة وعـزلتهم عن الأمـة ٠

فاذا كان لا بد للشاعر من الالتزام فلا يستطيع ان يكون كذلك الا بطريقة واحدة وهى : ان يكون شاعرا حقا وانى ادعو الادباء الى تجنب الاحكام السريعة والانفعال ولنترك كل الزهور تتفتح بحديقتنا والبقاء للاصلح ٠

ج٠ م٠

انا .. " دون كيشوت "

شعر : نور الدين العكاري

(1)

لاَ أخجلُ إنْ قُلْتُ فِي صمْت
مَـامَاتَ حتَّى اليَوْم "كيشوتْ"
لاَ أخجلُ إنْ قلتُ في صمتٍ
إنِّي أخَافُ أنْ أمُوتْ ...

* * *

(2)

نَـاقُـوسُ هَاتِكَ الكنَـائسْ
مَـا زَالَ حتَّى اليَوْم يَهْذِي ... ويدقْ
كلّ الدّمَى ... كلّ العرَائِسْ ...
رَذائِلُ الحمْلِ ... زُجَـاجاتُ القَلَقْ
مَا عُدْنَ مِنْ جسْرِ خطَايَـانَا ...
"كيشُوتُ" ... هَلْ تَدْرِي الّذي كَانَا
قدْ صَارَتِ الارْضُ لنَا اليَوْمَ أُفُقْ .

* * *

(3)

حرَّكْتُ فِي الطِّينِ سُيُوفَ الهَوْلِ
أشعلْتُ فِي أشلاء أمْوَاتي اللَّهَبْ
لَمْ أدْرِ يَـا "كيشُوتْ" أنِّي ...
فِي ثوْرَتِي البلْهَاء أضْنَيْتُ التَّعَبْ

أنِّي عَبَرْتُ جِسْرَهُ ...
أنِّي خَسَرْتُ كلَّ أوْراق اللَّعبْ .

* * *

(4)

الكلْمَةُ المحْمَرَّةُ الجَوْفَاءْ
سَيْفِي أنَـا ...
لكنَّني لاَ أعْرِفُ الحلْبَهْ
لكنَّني لا أتْقنُ اللُّعْبَهْ ...
قَدْ أقْتلُ نفسي أنَـا ...

* * *

(5)

مَا زِلْتُ حتَّى اليوْم أجْتَازُ الأفُقْ
وكلَّ نواقيس هاتِيك القُرى ...
تَهْذِي ... تَـدُقْ
مَا زِلْتُ فِي فَرْطِ ذهُولِي سَاهِمًا
أبْحَثُ عَنْ رَبَّ الفَلَقْ ...
اسْتَنْظِرُ تَحْتَ الشُّموس اللاَّهِبهْ
مَـوْتَ القَلَـقْ

المربـــــوة

قصة بقلم : رشيد الغالي

ـ قال لي : انت قليل الانتاج في الحقل الادبي

ـ قلت : ان قيمة الادب لا تقاس بكثرته أو بقلته وانما بصـدق نزولـــه

ـ قد لا يصدقك التاريخ كثيرا فيما ذهبت اليه ٠

ـ كثيرا ما تقوم في الرغبة ، ويجيش الدفق ، ويتوثر الانفعال ٠ فأكون له مذعنا ، مشدودا ، مثقلا مكدودا ، فأهرع الى قلمي في خضم تدافق وتلاطم ٠٠٠ غير أن أصابعي المرهقه سرعان ما تفقد سلطة التنسيق فتيبس على القلم مفحمة حتى ينطفىء في كل شيء ٠٠٠ وتؤلمني رعشتي وهي تحتضر ٠٠٠

ـ اذن ، أنت مجرم تستبيح القتل وتقتل !

ـ بـل هو الخبـــز

ـ ولكن السعي للارتزاق شرف !

ـ حتى الاستشهاد في ساحة الوغى شـرف !

ـ ولماذا تكتب هذا القليل ؟

ـ طغيان مادة ، واعصار فيض ، و ٠٠ ترحما ٠٠٠

ـ قال لي : في كتاباتك افتضـاح

ـ قلت : بل هو تعر سام ، يكشفك لنفســك ٠ ويفتح شعورك لاحساس ما هو كامن فيك ٠ فتتقرح فيك منابع الانتشـــاء ٠

ـ اذن الادب عملية استشراف واستشفاف وافتضاض

ـ هو ذلك ، وهو ، أنت الانسان ، في قرارك وقلبك ، هو انت كما أنت ، خالصا ، طهرا سنيا ، وروحا خلصا ، اله

ـ أنا أدرى بنفسي ٠ وأنا اليها أقرب احساسا واكتناهاء

ـ ما يهزك في النص الادبي ؟

ـ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

ـ مالم تبصره واعتمل فيك غامضا ، مبهما ؟ ثم ان لغتك سقيمه ثقيلة ، مطوية كثيفه ، يخالطها ثقل فلم تصورك لنفسك حيـا

شفيفا ··· فأنت تفهم اللفظ والاديب يحسه احساس العمق فصار فيه حدسا فنزل منه دافئا مشعا ، وجاء منك منطفئا ، باردا ·

ــ لــــم أفهـــــم ·

ــ لان هذا يحس وجدانا ويدرك حدسا ولا يفهم منطقا ·

ر· غ·

كانت الليلة ممطرة ، وكان هزيم الرعد يقطع ، من حين لآخر ، هذا الصمت المخيم على نادية وأسرتها المجتمعة فى قاعة الجلوس تتتبع ، فى شىء من السام برامج التلفزة · وكانت نادية ، مضطجعه على حشية ، تطالع قصة طويلـة ، وترفع عينيها من حين لآخر لتلتقط بعض المشاهد التلفزية ثم تعود الى قصتها لتغوض فيها ··· وسمعت أباها يحدث أمها : « مسكين حامد جارنا · لقد مر نحو العام على وفاة زوجته ومسحة الاكتاب لم تفارقه ··· ولقد نصحته بـان يغادر بيته هذا بعض الوقت لان كل ركن فيه يذكره بزوجته فوعدنى بذلـك ولكنــه لم يفعل ··· »

فخلت نادية كتابها ثم استوت جالسة لتتتبع حديث والدها ··· وقالـت الام : انه شاب فى مقتبل العمر ، محترم الجانب ، لاتكاد تقع عليه العين حتى تستحسنه ··· ويبدو انه يعيش منفردا فى بيته ·

قال الأب : لقد رأيته اليوم وقلت له : «ان انت لا ترغب فى مفارقة بيتك فادع قريبا لك أو صديقا يساكنك ويخلع على البيت شيئا من الانس· فابتسم ايجابا وانصرف ، فلحقت به قبل أن يمتطى حافلة النقل وقلت له : « أكون سعيدا بزيارتك لبيتى · لعل هذا يخفف عليك شيئا من عبء الوحدة » · فشكرنى

ثم التفت الاب الى زوجته وقال مداعبا : ما ابشع الترمل ··· فاغمضـت نادية عينيها ثم تشاغلت بكتابها ··· وتذبذبت السطور أمام عينيها ولم تعد تعى تماما مدلول الكلمات التى تمر بها ، الشىء الذى جعلها تعيد القراءة مرات فسئمت ذلك وطوت الكتاب ، وخلدت الى شىء من السكون فى لفة مـــن الاحاسيس والخواطر المتكاثفة ··· وسمعت أمها تقول : « لقد كانت زوجتـه جميلة ، تخلصه الود وتبادله الاحترام » ··· وانطفأ الحديث ، وبقيت الاصوات المنطلقة من التلفزة تأتى الى ناديه متشابكه فى قرقرة بشعه ، فحيت والديهـا وذهبت الى غرفتها ··· تمددت على فراشها ، وبعد حين ألفت نفسها تفكر فى حامد ، فتذكرت يوم حياها · كان ذلك عشية يوم رطب هواؤه ، ناعمة سماؤه كانت تحادث زوجته من وراء السياج الحديدى فى حديقة المنزل · وقد أقبـل

هو ، طلق المحيا يحمل رسالة ··· وتذكرت كيف خاصر زوجته ودخلا بيتهما ، وكيف شيعتهما بعين فاحصة ، وقد اهتزت فيها كوامن نداء أنثى مراهقة ··· وتذكرت أنه حياها مرة ثانية فى المطار يوم ذهبت ، رفقة والديها ، لا ستقبال خالتها نعيمة العائدة من القطر الجزائرى ··· كان ذلك فى العام الفارط ··· كان أبوها يسوق السيارة ببطء ، وكان فى نفسها تشوق لرؤية خالتها ، حتى انها تمنت أن تطير السيارة وتحط ، فى طرفة عين ، على ارض المطار ، كالجواد المسحور ···

ووجدت نفسها ، بعد حين ، بين حشد من الوافدين ، فأمسكت بيد أمها وهى تمد نظرها بين الاعناق المشرئبة الى دوى الطائرة الذى كان يعنف شيئا فشيئا متراكضا فوق رؤوسهم دائرا فى فضاء المطار ، مرسلا التماعات بارقة واشتدت الزحمة على السياج الحديدى ، الذى يفصلهم عن أرض المطار ، بينما كانت الطائرة فى كركرتها الداوية ، تحط على الأرض ، ولما سكن هديرها وانفرج بابها ، وتدفق ركابها رافعين رؤوسهم ، محملقين بأعينهم ، رأت الايدى من حولها ترتفع ، والمناكب تتدافع والاجسام تتهافت على حديد السياج متهاوية صائحة ، متنمرة ، حتى انغلقت امامها رؤية المسافرين ، فصارعت ودافعت ولكن الموجة العارمة هدتها ووجدت نفسها فى تلاطم اهتزاز لا حول لها ولا طول فالتفتت لتستنجد بأبيها ، فاذا حامد وراءها يمد لها يد المساعدة ··· كانت تشد يدها على كتفه وهى تقف على مدرج السياج · وكان هو صامتا لا يرى من أرض المطار شيئا ··· وفيما كانت على ذلك ، داخلها احساس محبب للنفس مثير ، لقد أحست أنها الى رجل ، وان احساسها هذا بعث فيها ومضات تلذذ أو انتشاء ··· وأن عين حامد تخرقها تستكشف طواياها الدفينة ، وان فستانها القصير يكشف ، فى وقفتها هذه ، الكثير من جسمها ··· وتضاءل لديها وضوح الرؤية ، فصار من كان على أرض المطار من الناس كالاشباح المتنقلة ، وأهملت أو كادت أن تهمل البحث عن خالتها ··· وسمعت صوت أبيها مناديا ، فترفقت وهى تنزل ، وما ان رأت نعيمة حتى انطلقت سريعا ، وارتمت تعانق خالتها وتطفىء حرقة شوق كبير ··· وحانت منها التفاتة فشاهدت حامدا يدخن صامتا ، فابتسمت له ، وقد أحست أن الموقف جعلها تنسى بسرعة وجوده ··· وتململت نادية على فراشها : ما لذاكرتها تستجلى بكل وضوح كل شىء عنه ! حتى أن خالتها تعرفه · لقد قال لها ، يومها ، وهى تقدمها له : عملنا معا عامين ·

ولم يفتها أن تلاحظ ما كانت عليه نعيمة ، وهى اليه فى استذكار ، ما كانت عليه من تفتح واستبشار ، ولكن الذى فاتها أنها لم تسأله عن سبب مجيئه للمطار خاصة وأنه عاد معهم الى العاصمة فى سيارة أبيها ! ··· لقد كان طوال الطريق

صامتا يطارحه أبوها الحديث فيفر منه بكياسة ، وكانت نادية ، ترنو ، من حين لآخر ، الى رأسه المائل قليلا ، والى احديداب رقبة صدارة أو الى انسراح دخان لفافتــه ٠٠٠

وطاف بها طائف ، فمدت يدها الى كتابها فلوته بين يديها ثم ألقت بـه الى جوارها ، الى رجليها ، ولما مدت يدها لتأخذه ثانية انكشف فخذاها عـن استقامة لولبية نشيطه ، ملساء ، فغرزت فيها يدها اليمنى ٠٠٠! وأحست بحاجة الى الاحتكاك او الى النقر الخشن ٠٠٠ وأحست بتمزق وأنقسام وبعثرة وتلاش ٠٠٠ وأطفأت النور الكهربائي ، وتحوت على فراشها وحاولت النوم ٠٠٠

* * *

٠٠٠ كان يوم ، رأت فيه حامدا يدخل حديقه البيت ، فأسرعت الى المرآة لحظة ثم نزلت الدرج وفتحت الباب ولم تمهله بل أدخلته قاعة الجلوس ثـم انطلقت الى أمها تخبرها أن جارها السيد حامد ينتظرها فى قاعـة الجلوس ، فاسترابت وتساءلت ولكن البنية سبقتها وفتحت باب القاعة وعاجلتها : « انه هنا ، هنا أميمه ٠ » ودخلت الام فوجدت الرجل واقفا فحيته ودعته للجلوس ، بينما كانت نادية فى المطبخ الى المرطبات والمشروبات تصنفها وتنضدهـا على طبق وتقدمها الى الضيف هاشة ، باشة ، الى حد المبالغة ٠٠٠ وانطلق فى حديث مع أمها : « لقد كلفنى السيد صالح بـ ٠٠٠ » وسكنت نادية ، وراحت ترقبه مراقبة دقيقة ، فلم تفتها حتى لهجته الساحلية ٠٠٠ حتى استعمالـه للكثير من اللغة العربية الفصيحة ٠٠٠ واستسلمت الى لذاذة أحاسيس يتراقص فيها نقر نظرات عابرة ٠٠٠

وعادت الحياة تناغى حامدا ، وأخذ هو يبتسم لها شيئا فشيئا ، وبدأت نادية تأخذ مكانها فى حياته ، فى قصته الحياتية ،وانمحت من أحاسيسه تلـك الصورة التى كانت له عنها ، الطفلة المرحه ٠ واستقامت له صورة الشابة المريدة المتفتحة للمغامرة ، للرجل ٠٠٠ واستجابت لندائه فى براءة ، وطفولة ٠٠٠٠

* * *

كان فصل الشتاء يلم بقايا انفاسه الباردة ، وكانت حديقة منزل نادية أمامه تعرض أشجارها الجرداء فى صمت ٠ كانت الفروع فى لونها القاتم تمد أعوادا يبدو عليها جفاف الخشب المتروك ، ترتعش ذؤاباتها كلما هبت رياح ٠٠٠٠ ومرت به قطة رآها تتجه الى مكان مشمس ، تمددت القطة وأخذت تلعق أجزاء جسمها ، فالقى عليها نظرة خاطفه ، فيها اعياء وملل ثم رفع عينيه الى شرفة كانت نادية ، وراء بلورها ترقبه ٠٠٠ وشاهد على الطريق المقابل للشرفة شابا يمشى الهوينى واضعا يديه فى جيبى معطفه ، فأدرك أنه يراود نادية ٠ فكر أن يخرج اليه ، أو أن يشعره بوجوده حتى يغادر المكان ولكنه لم يفعـل من ذلك

شيئا بل نزل الى داخل الحديقة حتى يختفى عنه ويتركه الى أعماله ٠ وأحس حامد بشىء يجذبه الى مشاهدته مرة ثانية فاقترب من السور حيث اشتبكت شجر الياسمين فلم تصل عينيه الا الىصورة نصف وجهه الاسفل: بشرة ناعمة نشيطة ، ذقن مستدير علاه فم دقيق ، رقبة مديده ، مائلة الى النافذة ٠٠٠ وأخذته عليه شفقة ، وفيما كان على ذلك ود مخلصا أن يدعوه للدخول الى نادية ويتركهما فى لهب شباب ٠٠٠ تحرك الشاب ، فى اتجاه مستقيم بـــدون أن يلتفت ، ورأى حامد القطه تغادر مكانها نحو البيت ، فرفع عينيه نحو السماء فاذا بسحب دكناء تكتسح وجهها فاتجه نحو فناء المنزل وما ان بلغه حتى سمع رش الوبـل يقـرع سطحـه ٠٠٠

كانت الام فى المطبخ عندما احس بيد تجذبه فالتفت فاذا هى نادية تدعوه فى همس : « أدخل ، هيا ادخل ٠٠٠ ووراء الباب أحس بها ترتعش وقد احمرت وجنتاها فاحس بتدفق الدم فى عروقه ، وبانغلاق فى صدره فجذبها اليــــه وضغط عليها ،ثم استسلما لوهج عناق ٠٠٥ وسمعا الام تغادر المطبخ فتسللت نادية داخل الدار وأطبق هو الباب ٠٠٠ قالت له الام : « انى آتية لادعـوك للدخول الى البيت ، ان شتاء هذا العام قاس » ودعته لقاعة الجلوس ٠ كانت فسيحة ، مستطيلة الشكل ، أنيقة الهندام ، وثيرة المقاعد ، تتصدرها صـورة الاب فى بدلته الجميلة ٠٠٠ وراحت الام تفيض عليه أحاديثها الساذجة عن مناخ الجهة و ٠٠٠ وكان يتظاهر لها بالانتباه وحرارة القبلات المختلسة ترجـــف يديه ٠٠٠ ونادت ابنتها وأمرتها بمراقبة الطعام على النار ، فنطت فى خفــة ورشاقة وأطياف تفتح أنثوى طاغ عليها ٠٠٠ وجاء ، بعد حين ، جرس الباب يقطع الصمت النسبى ، فقامت الام قائلة : «انه هو ٠٠٠ كانت نحيفه ممشوقة القوام ثشبه ابنتها غير أن السنين رهلت قسمات وجهها ٠٠٠ فا عتدل حامد فى جلسته وسوى ربطه عنقه ، غير أن صوت امرأة عال مرح أبطل فيــــه تهيؤه ، ودخلت عليه الام تقدم له نعيمة أختها : « انه السيد حامد خطيب نادية وانفرجت شفتاها عن بسمة متأنقه ٠ جلست المرأة قبالته ، متأملة ، مستنطقة وقد سوت خصله شعر متهدلة على صدرها ٠٠٠ ورانت لحظة صمت خرجـــت الام اثرها الى المطبخ ، فقالت نعيمة ـ ها نحن نتقابل مرة اخرى ، فقــــال متحرجـا :

ـ الصدفـة السعيدة ، نعيمة

كانت فى مقتبل العمر تناهز الثلاثين من عمرها ، ناهدة الصدر ، دعجـــاء العينين ، متناسقة الملامح ، عذبة الكلام ٠٠٠ وأحست نعيمة بانفرادها مـــع شاب كانا قد ترافقا فترة من الزمن فنهضت والتحقت بأختها ، فشيعها بعين

راهبة ، واستقام أمامه قوامها جذابا مغريا ... وهاجت فيه خواطر لعينه ... ثم تراءت لعينيه نادية ، متنمرة رشيقة ، خفيفة الحركة يتصارع فيها فيض الشباب ورعونة الجسد ولهب النداء ، فأحس بثقل يجمد نوازعه وباكتئاب يوحش وجدانه ... وأشعل سيقارة فانطفأ العود الاول ، وفيما كان يرفع العود الثانى لاحظ اصفرار ظفر سبابته من مفعول دخان لفائفه ، فرفعه الى أنفه وتشممه ، فاذا فيه راحة تبغ عطن ، كريه ... وأحس بشىء كالاختناق أو كالضغط يجثم عليه فاستنشق نفسا مديدا ... ودخلت نعيمة تحمل طبقا وقدمته اليه ضاحكه : « من العادة أن الخطيبة هى التى تقدم لك الطبق ولكن نادية ... » وفيما كانت متهاوية كان يتأمل عينيها المطبقتين على جفنين مخمليين ، وفمها الذى كان على بعض ابتسام ، وقد بان جيدها مديدا ، منحنيا ، غضا ... وانقلب حامد عينا نهمه ، وقد انطمس فيه السمع

قالت له : « انها متأدبه ، جميلة تذكرنى بليلى زميلتنا اتتذكر ؟ كانت تحدثه على نادية . وكان يرمقها صامتا ، غائرا فى مراتع بعيدة ، محلقا فى مسارح رحيبة ، كانت نعيمة فيها اليه حبيبه يغوصان فى شجى تحرق ونار تلهف وصبابة تشوق وحرقة تعطش وغمرة تحنان ... وكانت الصور تعمل فيه عمل الحلم الرائق ولم يعد الى محدثته الا عندما أحس بدخان سيقارته يلهب أنامل يده ، فانتفضت يده فكأن رفيف ماء دافق داهمه ... وانطلق فى حديث مختلق عن المرأة ، وفك لسانه من عقال ، وهمى لذقا ، لبقا ، سيالا ... ودخل ولد نعيمة وسكن بالقرب من أمه ، فراحت تمرر يدها على رأسه ، تأمله حامد لحظة : « انه لا يشبه أمه » ومن خلال وجهه الناعم حاول أن يستكشف صورة أبيه . ولكن نادية دخلت فجأة وقالت جذلى : « ان ابى بعث يعتذر عن عدم تمكنه من الحضور للغداء وأنه يتمنى لنا ... » وأحست بأمها خلفها ، فأضافت « لانه ذهب فى مهمة أكيدة ... »

* * *

... كانت نادية الى جانبه ، وكانت الربوة قائمة أمامهما فى ارتفاع تصاعدى منتفخة الرؤوس ، محدودبة الجوانب يعروها صمت كهوف جوفاء ، مهجورة ، يبدو عليها حمار أسود يقضم أعشابا قميئة ، ذاوية ، وقد قامت عليها شجرتا خروب عظيمتان توسدت فروعها الارض وامتدت فى تشابك وعظمة ...

التفت اليها حامد وقال : « انها الربوة » فنظرت اليه بدون كلام ... وتقدما منها ... كانت الربوة ترفع رأسها وتهز صدرها ، وكان هو يخاصر صاحبته وأحس باجهاد ونصب فتوقف ومال بوجهه الى المنحدر لاهثا ، فباتت له الحقول منبسطة تسطع عليها شمس ويرين عليها جلال ... حدقت فيه نادية مستبطنه ممعنة ، فاذا هو على صمت وحيرة ... وبانت له عينها صافية ، عميقة ،

لا تطرف ٠٠٠ وكان وجهها استدار أكثر مما كان عليه ٠ فقد شع منه هـدوء واستكان ، وانفرجت شفتها السفلى عن ابتسام فانطلق محياها وأدرك أنها كانت تضغط على أسنانها ٠٠٠ قالت : يبدو عليك اعياء ٠

قال : رجلاى تتشبثان بالربوة وصدرى يخوننى ٠

ــ لو خانتك رجلاك وصدقك صدرك لما كنت للربوة ولا كانت الربوة لك

ــ قد يعسر على بلوغ الاوج ، انها تتعالى أمامى شاهقة كأداء ، ترفع أنفها كأنهـا تلاحـق السمـاء ٠

ــ هات يدك انى احبك لاهثا لاصامتا

ــ الدرب وعر وقد يأخذك ارهاق

ــ حتى وان قهرت عليه فلن تراه أنت منى

ومر قطار سريعا فى دهليز ، ممره تحت الربوة ، فالتفتا اليه قـال لهـا :

ــ لقد مهدوا له الطريق

قالـت : ــ لانه حديد

ــ ولكنـــه قـــوى ٠

ــ فى المنبســط فحســب ٠

وأحس بها اليه ، تغطى بقايا اعياء ٠٠٠ والتفتت الى حشيش طفيلى انساب أخضر ، فمدت اليه يدها واقتلعته وأخذت تتأملـه ٠

قال لها : ــ انه بدون نـــور ٠

قالت : ــ انه لا يلد نورا وانما خضرة بدون عطر

قال : ــ المعاناة ٠ حبيبتى هى التى تلد النور والعطر

ــ انه يفيض على أغصانه من رحيقه أكثر مما تتغذى بـــه جذوره ٠

ــ كالمرأة اذا أرادت أن تمنح للذة فى العطاء

ــ عطـاء المرأة لحم لا يمضغ ، شهى مغر،لا يقيم اللذة ولايديمها

ــ أى لحم يقيم اللـذة ويديمهـــا ٠

ــ لحم العين ، لحم ثدى المرضع التى تلد وترضع لتخوى لتذوى لحم السنى ، لحم النور والعطر ٠

ــ انك رأس بدون جسم ٠ دائما تحلم ، ولكن لابد لرأسك من لحم غير الذى ذكرت ٠

٠٠٠ وأخذا طريق العودة الى المدينة ، كانت سيارة الاجرة تبتلع الطريق الممتدة أمامها ، وقد هدأ هدير محركها أو هكذا بدأ لحامد ، فمال بوجهه الى بلور باب السيارة وبقى يرمق تموج الهضاب المنسابة أمامه ٠٠٠ كانت خضرة الحقول تعمق وتخف أمام عينيه ، وكانت الاشجار المتصبة ، حافتى الطريق تتسابق اختفاء ٠٠٠

والتفت الى أرض الطريق فألفاها جرداء ، حصباء ذات خيوط ملتوية متداخلة متململة أشعرته بشيء من الدوار ٠٠٠ و قلقلت السيارة فجأة وصاحت عجلاتها فرفع بصره فرأى بقرة تعبر الدرب فى اطمئنان ولا مبالاة ، وانطلقت من رفاق السفر كلمات وتعاليق ٠٠٠ ورأى حامد أن أحد الركاب مال الى فخذى نادية لان القلقلة زحزحتها عن اعتدالها فى جلستها فستانها ، وأدركت منه نادية ذلك فتململت قليلا فى تكلف وحاولت اخفاء ما تكشف ٠٠٠ ولاحظت من حامد اغضاء فقالت له: لقد أبطانا بم سأتعلل لامى؟ قال لها: بأنك كنت معى فى تجوال برىء ٠ فهزت كتفيها دلا ثم قالت : لقد أصبحت تعرونى حالات ، وأنا فى المنزل ، أحس فيها بحاجة للتدخين ٠

فقال : ـ للتدخـــين !

ـ لن أقبل منك لفافة تبغ لانى أخشى عادة التدخين ٠ وتشاغل عنها حامد بهذه الشمس الساطعة على الحقول الهادئة ، على الانعام المطمئنة ، على الفلاحين العاملين ٠ وهمس فى سره « كان على أن آتى الى الريف منفردا حتى أتملى من جماله »

٠٠٠ وسكن ، بعد حين هدير السيارة ، ونزلا الى صخب المدينة ، وفـــى منعرج ، لا يدرى لماذا أمر يده على رقبتها ، فترنحت نادية فى مشيتها ورمتــه بجفن ناعس ثم قالت : الآن خل سبيلى ، انى فى حاجة الى خلوة قصيرة ٠٠٠

وسارا صامتين ٠٠٠ وعلى حين غفلة أبصر الشاب الذى شاهده يوما يراود ناديه ، فنظر حامد اليها ، فقالت له : ـ انى أبغض الاطفال وكانت الى جانبــه وكانت ضوضاء المدينة تشتت أفكاره ٠٠٠ وبانت له صاحبته ، بقصة شعرها الغلامية أنها دون سن الخليلة ٠٠٠ قال لها ـ انى أحس بخلو فى فمى ٠ فلم يجبها ، فأضافت ـ لقد اقتلع لى الطبيب ، منذ يومين ، ضرسا نخر أودهـا ، ولما رأيتها أمامى اكتأبت وأحسست أنى افتقدت شيئا من هيكلى الى الابـد ، ولما سألت الطبيب عن سبب اعتلالها قال : « انها منحرفة » ولكنى ، رغـــم انحرافها ، ورغم ما كانت تسببه لى من أوجاع لاتطاق ، شعرت انى أحبها اكثر من أخواتها فطلبت من الطبيب أن يسمح لى بحملها للاحتفاظ بها ، فتمنــع

واستبقاها للدرس كما قال ، وهذا اليوم الثالث يمر شعورى بفقدانها ما زال يزعجنى • فقال لها : ان هذه الحادثة تمتن شعورك بالزمان ، بالفناء ، وسكتت غضبى ، وعلى باب حديقة بيتها قالت له : ـ ولكنى أصغرك بعشرة اعوام فعاجلها قائلا : ـ وأنا أكبرك بعشرة أعوام ، وبخمسة عشر ابحارا وخمس عشرة امرأة ، وخمس عشرة ليلة •

ـ قالت فى ابتسام بارد ، قاس : ـ لشفاهى إعصار واسعار وليدى العذراء ألف حس وليد ، وألف أذن ، وألف نداء حميم أما يدك ••• فقاطعها : ذات ألف تجربة دافئة •

* * *

••• كانت الايام التى تلت الزواج ذات هزات أخذ عنفها يفتر شيئا فشيئا ••• ولفهما سير الايام فى وتيرته وخموله ••• كانت هى كقانص ترهف سمعها لكل حركة من حركاته ، وكان هو يرعاها بعين الحكيم ، يعمد الى بعثرتها ليراها فى قلبها وقرارها • غير أن الامر تغير بعد أيام ، فصارت امرأة ذات أطوار سخيفة ودافئة ••• قالت له يوما : ـ أتدرى كم مضى على ميلادى من ليلة ؟ فتفحصها لحظة ثم قال : ـ لماذا تعدين أيام عمرك بالليلة ؟ قالت : لان عمر المرأة ليال • وانشغل عنها بصحيفة اخبارية يتتبع احداث الشرق الاوسط ، فجاءته وأسبلت يدها على كتفيه وقالت بصوت منغم : الليلة ليلتى الاربعين ، فى مثل هذه الليلة ، منذ عشرين سنة ، كنت قد بلغت الاربعين ليلة ، وتلك تمثل أول اساءة فى حياتى ، لقد عزلت ، بسبب وجودى ، أبى عن زوجته اكثر من شهر •••

ثم اضافت بصوت خفيض : ـ أريدها ليلتى كما كانت لامى • أريدها حمراء

وضحك حامد ، وجذبها اليه حتى اذا تدانت منه قالت له محذره :

ـ لا تمسنى « حامد » ، ان فمى ملح ، ملح ، ولعابى مر اجاج ، أجاج ، ما أبشع الخلق ، ما اشد التئام الخلق فى الاحشاء ، فى أحشائى » انا حبلى حبلى ••• وأجهشت فى نشيج ••• ولما نهضت تمتمت•

ـ لا تؤاخذنى ، حامد ، انه الهزال ، الهزال حبيبى • كانت تتكلم بدون كلفة ، وكان مشهدها جذابا ، يشع منه انذهال نسائى دافئى ، ولاحظ حامد ان جسمها انسل الى الامتداد ، وخاصرتها فجأة لمعة جمال أخاذ ، ورعنت فيها خاطرة أنوثه ، فكانت الى أحسن فستان ، ثم جاءته ، فنظر اليها بعين ثم التفت ••• وأغرقا ليلة حامية ••• كان نورا الفانوس الكهربائى فوق راسيهما يعكس على السقف لونا أصفر ، باهتا ، ولكن « أليس للجماد عين »•واستكانت

نادية الى جانبه قليلا ، ثم مدت رجليها وقالت : ـ انك لا تبدو فى الفـــراش أطول منى كثيرا • فلم يجبها ، فأخذت تبحث عن يده التى تحمل لفافة التبـــغ ثم أدنتها من شفتيها ••• وجاءه صوتها بعد حين : ألاحظ أنك تـدخن ببطء فى الفراش ليلا • فمد يده الى المذياع بدون أن يتكلم ، فكانت الاغنية عاطفية ، فأضافت وهى تتكىء على أحد مرفقيها : ـ لقد كنت منذ حين لاهثا كأنك تعالج التخلص من معاناة مكابدة فتذكرت لهاثك يوم كنا الى الربوة نصعدها فكدت أضحك ولكن دغدغة جاشت فى فانشغلت •

ولما استبان لها أنه لم يكن الى حديثها قالت : ـ كيف تكون اليك « الاخرى » فى مثل هذه الاوقات • فأجاب باقتضاب : ـ تكون لا هى إلى ولا هى الى نفسها

وصمتا • ولما استدار بعد حين لينام رأى دموعها ، فأسدل يده على ظهرها وأدناها منه ، فقالت : ـ ولكن لماذا ماتت !

فغمغم متناوما : لتكونى أنت •

* * *

••• أصبحت نادية تزعجه بحدة انفعالاتها ، ورهافة حساسيتها ، ورغبتها فى البكاء الصامت ، فرأى أن يحملها الى الريف حيث يقضيا شهرا ••• وطلـع عليهما الصيف وهاجا وقد خفت عليها وطأة تقلب مزاجها ، فكانت تدعوه دائما للتجول ليلا فى الحقول ••• كان الليل قاتما ، وكان السكون مخيما يلــف الكون لفا موحشا ، وكانت الارض معشوشبة تطؤها أقدامهما فى تؤدة فيسمع لها حفيف كالخفق ، وكانت السماء فى سواء صاف رحيب تشع نور نجيمات تبدو مرتعشة من حين لآخر ••• وتدانت منه ، فمد يده الى جيدها ، فاستكانت وقد ذهب عنها حرنها ••• وانطلق فجاة اشعاع نجم كحد سكين لماع ، ثـــم ابتلعته العتمة ه قال لها : ـ نحن على الربوة تتهاوى دونها الكهوف الموحشة ، انها مرتع لسعى حثيث ، سعى وصراع من أجل البطـن •
لم تجبه ، فلثم أذنها هامسا : ما أجمل الليل ، قالت : ـ بل قل ما أرهبه • وأخذ يدها فتوقفت قائلة : بت أخشى عليك الربوة ، انها تلهثنى • وانطلق فى الجو فجأة صوت حاد لطائر دهته داهية ، وخرس الصوت فى منطلقه وعاد السكون يجثم مطبقا ، فالتصقت نادية به فقال : حلـم ، فانتفاضة ، صرخة فانطفاء ، كلها تشتبك فى بعض لحظة قصيرة ، قصيرة جدا • انها لنهاية رائعة قالت : ـ لم أفهــم •

ـ انه الثعبان يسعى ، فوجد فريسته
ـ مسكين ، العصفـور

ـ الثعبان ، يا نادية ، اذا ما التهم فريسته وأشبعته يغفـو بعـدها اياما للاستمراء والحلـــم ٠

ـ انه يتطعم بأغشية معدتـه ٠

ـ لانه يريد الاستمــــراء ٠

ـ وذلك بالقتـــل !

ـ حتى الصقور والنسور تلتهم الزواحف ، حتى من التعابين الكبيـرة

فصمتت قليلا ثم لوت رأسها الى كتفه وقالت مداعبة :

ـ والصقور والنسور من يلتهمها ؟

ـ الموت ٠ انها كلها صور للموت ٠ ما اجمل الميتة التى تباغت الحى وهو فى أوج الانتشاء والحلـــم ٠

ـ كذلـك العصفـور ؟

والتوى فى البعيد ، خلف وهد مديد ، عواء كلب شريد ٠

فقالت : ـ هل دهته داهيـة ٠

فرد عليها : ـ انه يتآكل ، يتآكل لتأكله أمه ، أنثاه ، وأخته ٠

كما تفعلين أنت الآن فى بطء ممض ، مرير ٠

ـ ولكن شفاهى تمتص ولا تعض

ـ صورة أخرى للموت ٠ ما أبشعها ميتة على ألف مصه وألف أنة

ـ كلكم تعلمون أن المرأة كالحياة تسأمونها وتعودون اليها كارهيـــن تنهككم وتشدكم اليها فتنقادون مستسلمين ٠

ـ لنموت صبرا ٠ قضى علينا ذلك

ـ اسكت انه الليل ، والربوة ترفعنا عن السهل ٠ لننم انها احـدى ليـــالينـــــا ٠

* * *

٠٠٠ كانت فى حديقة منزلها بالمدينة عندما فتح بابها ودخل منه الشاب الذى غازلها أيام فترة مراهقتها ، وتسمر أمامها مادا يدا جامدة ، فارتعشت وارتبكت خطاها ، وغاب عنها اللفظ وهمت بالفرار ولكنه انقض عليها وأغمد حركتهـا فى رجاء حان ٠

قالت له : ـ أخرج وإلا فانى سأصرخ ٠

فرمقها لحظة ثم أدار وجهه ليخفى دمعة كبيرة فاضت فى عينيه ٠ وعـــاد أدراجـه سريعـــا ٠

* * *

٠٠٠ مرت على ذلك أشهر ٠٠٠ كانا ممددين على الفراش ، وكان الكـرى يداعب جفن حامد ٠٠٠ استوت نادية على الفراش ، وأخذت ترمق سقـف الغرفة ٠٠٠ قالت : ــ لقد رأيت البارحة حلما ، أترغب فى ان أقصه عليك ؟

فغمغم حامـد : لـك ذلك ٠

قالت : « استقامت أمامى الصور على عاصفة مجنونة ، فانثنيت ، فاذا انت إلى تشدنى فى تواجد حميم ، واذا بنا على ساحل بحر غضوب مزبد ، ورأيتك تروم اشتراف أعماقه الداكنة ، فمنعتك ، فسمعتك من خلال صفير الريـح ورغاء الموج العاتى ، تقول بصوت رهيب ٠ عريض : « البحر طام ، غريـق أعماقه متباعدة ، وأراقصه فيميس بعظمته ثم ينصاع منهارا فأبتلعـه ٠٠٠ ويغرق فى ، فى انا القمىء ، فى أنا الرعشة الراعشة ٠ » ورأيتك تدخلـه فصحت متوسلة : «لا تدخلنه لظلمته دوافن سواد كبير٠» فقلت : « لا يا نادية يا بلوتى يا حطامك ، انه الاشعاع المشع ، انه الضوء الضوىء ، انه السنـى السنى ، انها ، يا حبلى ، الكثافة فحسب تبدو لعينك فهى تخفى ولا تطفىء ، تغطى ولا تعمى ، تحول ولا تمنع ٠٠٠ وأنا يا قضائى أنا نوره العظيم ٠ الغور نادية ، الغور » ٠

وراحت عيناى تمتد فى خظم تتباعد مع ابعاده وتقف عند سدود الميـاه المتلاحقة ، المتدافقة ، المتماسكة ٠ فقلت لى : « هيا نادية ، البحر حبيب » ٠ واستدق اثر ذلك ، حجم هيكلى وتضامر متصاغرا ، فأحسست بذلك ، وراعنى أن تذهب غضارة لحمى فأخذت أتحسس جسدى فاذا هو كاللعاب المتماسك ، الكثيف أو كالزيت مائعا لا يسيل ، فخابطت مجنونة حتى صرت أدور فى حركة لولبية ، فأدركنى اغماء ٠٠٠ وسمعتك بعد حين تقول : « قومى نادية ، الطهر يريدنا ، هو البحر ، هو الوطر ، الوطر حبيبى ٠ »

وعج عجيج البحر ، وتعالت مياهه حتى صرنا كالغريقين تتصاعد فى وجهنا أمواجه فياضة ، عارمة ، وكنت ماسكا بيدى تجرنى لليم ، وكنت متشبثة بك صائحة : « الاختناق ، أخشى الاختناق »

ولفنا الماء فى رحابه الفسيحة ، فكان دافئا ، مستنيرا ، ولما ابتعدنا فى عرضه رفعت رأسى فألفيت الماء فوقى معربدا ، فرفعت يدى الى فمى وأنفى فأدركت أنى لا أتنفس ، ولم اشعر انى فى حاجة الى التنفس فعجبت لذلـك وأردت أن أستفسرك ولكن أرض البحر تحتنا شغلتنى ، كانت كالزجاج لا تطؤها أقدامنا ولا تجذبنا اليها ، ولكننا كنا نسير ، نوغـل فى قلب البحـر ٠٠٠ وخطـر لى خاطر ، فهمست فى داخلى : « أين الاسماك » ثم رفعت اليك رأسى أريد أن

أسألك فعشيت عيناى من وميض ابراقة التمعت فأخفضت البصر وانقدت اليك ... وانفتح أمامنا الماء فاذا الارض أرض البحر ، فى صفرة الشفـق ذات أغشية مشعة ينبعث منها نور أبيض ، فنظرت الى رجلى فاذا هى شفيفة ، يخرقها النور فلا يبرز عظامها ، فأمعنت النظر فاذا هى يكسوها شعرا أسـود لماع ، فارتعت ، وقد أدركت منى ذلك ، فأسلست يدك عليها ، فاذا الشعر على يدك يتناثر وينقلب اسماكا رمادية يعظم حجمها كلما ابتعدت ... وصفا لحـمى غير أني ضممت رجلى لانى كنت عارية تماما • كان صدرى بارز وثدياى قائمين فى روعة التمثال المنحوت ، فتدانيت أردت أن المسك فانسقنا لجاذب انجراف • وتعجبت من أنى لك على هذه الصورة وأنت منشغل عنى ، فأخذت المس حلمتى فاذا هما صلبة ، محدودبة ، محببة ، شائكة ناتئة الاطراف كمذاب رصـاص نضح بماء فجمد فى أشكال غريبة ، حادة • فضغطت عليهما بشدة فلم أحس بألم ، غير أن أصابع يدى توترت وتخشبت فى يبس ، فداخلنى الشعور بالفناء فزعقت صائحة غير أن الصوت ارتج فى ، والتوى فى حنجرتى ، ويبس عـلى لسانى فأخذت أفغم بدون صوت ، فضغطت على حلمتى بشدة فغاصتا ، وبانت ثلمتان قبيحتان ، مريعتان فسترت صدرى بيدى وأخذت أبحث عنك فرأيتك فى وقفة الصنم ، ورأيت فيك وسامة الرجولة الكاملة ، فاقتربت منك فأخذتنى دون أن تلتفت الى ، وعنـدها أحسست بلحمـك الى لحمى ملتحمـا ، حـولت ناظرى حيث تنظر فشغلت : شاهدت نورا زبرجديا صافيا تحوم فيها غوان بل حوريات فى غلالات شفافة ، فضفاضة رحيبة ، تبذو ازهارا بيضاء تشبه الورد، وتتراقص رقصا كالخفق نعومة ، وراقنى تثنيهن • ثم انقلبت الصورة فاذا هن الى عناق ، فى عناق ، ثم اذا هن عناق رفاف خفاق •

فقلت بدون صوت: «اتجد المرأة فى مغازلة المرأة لذة» فسمعت صوتك همسا: «أنظرى الى الصدور» فنظرت ، فأدركت أنهم رجال ونساء• فقلت بدون لسان : « أتترك أولاء يومئذ وتكون لى ؟ » وفيما كنت الى ذلك اذ شاهدت ظلا لاخضراء تتهيل متمايسة ، متدانية منا ، فما لبثت قليلا حتى اكتنفتنا وشملتنا الى الاعين فنظرت فى مادتها ونظرت الى جوفى فاذا بألياف عريضة تخاصرنى وتخاصرك واذا هى تنبت من جسمى وتتكاثر الى أن طوقتنا وسدت منافذ الرؤيا أمامنا ، فعرانى شىء من الاطمئنان لانى أحسست بك الى أكثر مما كنت عليه قبل ذلك• فقد كانت يدك على عنقى تلاطفه ، ووهج جسمك يحوطنى ويتسرب فى تسرب الانتشاء عند الاستلقاء ، غير أن ذلك لم يطل اذا بصرت فجأة الغيد اللائى كن أمامنا تدخل ظلالنا ، فيهن من كمال الخلق الكمال ومن بديعه البديع ، ورأيت احداهن تمد لك يدا عاجية ، ورأيت شفتيك تنفرج ، وأحسست بيدك تتخاذل من على كتفى ويتقلص وزنها شيئا فشيئا ، فأردت أن أنقض عليها ولكنى رأيتكما

لا تطرفان ، فنظرت اليك توسلا ، وقد بدوت لى جميلا ، جميلا ، فلم تكن الى يوما شهيا مثلما كنت فى تلك اللحظة ولم يجدنى ذلك فأحسست كانغلاق أوج لذة أو انفطار دفق هزة أو انحباس تحرق بلوغ ، فارتج كيانى حرقة ولهفة ووجدت أن الالياف التى تحوط بى والنابعة منى تمنعنى من الالتحام بكالتحامى بك الآن فأردت أن أزيحها عن طريقى فاذا هى ثقيلة ، لزجة ، رخوة ، فى تصلب مطاطى عصى تملأ يدى وتأبى الاستقرار أو الاقتطاع ٠٠٠ ووجدتنى فى مكابدة ومعاناة ومجاهدة وضنك ، وكان ذلك أثار فى الرغبة فوقعت متدانية وأخذت أناجيك بدون حنجرة : حبيبى ألا تعود ففى أعطافى وعود حبيبى انى لك ودود ففى انفاسى شذى ورود، ان مائى دفاق، فيه من منعش الرحيق آفاق هاك الجيد هاك الحلمة ، هاك أنا الانا،عينى اليك ناعسة ورعشتى منك ملهمةعدبى حبيبى الى غيبوبتى ٠

وكان ذلك لم يصل اليك ، فاشتد فزعى وبكيت ، وما ان نزلت الدموع حتى احمرت الصور أمامى وغرقت فى دم قان يتكتل ويدنو منى ، فبهت ٠٠٠ وفيما أنا على ذلك اذ انفلقت أصوات مفرقعة ، صاعقة ، هزهازة فاستيقظت مرتجفة ، فاذا يدك على ساكنة واذا وجهك هادىء تشع من الطمأنينة والسلام ، فأخذت الثمك حتى اطفىء ما الهبه فى الحلم ٠٠٠ »

ثم استدارت نادية وأرادت أن تتكلم فاذا حامد يغط فى نوم عميق ٠

ر٠ غ٠

بكائية للتبغ القديم

شعر : مالكة العاصمي

لاَ تَــزَالُ عُطُــورُكْ
تُغَـرِّدُ فِي خُصُلاَتِي الْقِصَـارْ
وَتُفْعِـمُ قَلْبِيَ بِالْجُوعِ ، بِالنِّدا أَوْ بِالنُّبَـاحْ
وَتَقْدَحُ جِسْمِي بُـرْكَـانَ نَـارٍ
وَتَهْدِيَ زَمْجَـرَةً مِنْ لَهِيبْ
أَدُور ... وَلَكِنَّهُ لَيْسَ غَيْرِي هُنَـاكْ
وَأَصْخَبُ ... أَضْرِبُ ... أَصْدَعُ رَأْسِي بِصَخْرِ الْجِدَارْ

وَيَصْرُخُ فِي دَاخِلِي النِّـدَاءْ
أُكَـوِّمُ نَفْسِي عَلَى الأرْضِ ،
أفْـرِكُ رِجْلَـيَّ ،
أُكَسِّرُ قَبْضَتِي بالأرْضِ ،
أَحْفِـرُ ، أَنْبُشُ قَلْبَ الْبِسَاطْ
وَأُنْشِبُ ظُفْرِي فِي كُلِّ شَيْءْ
وَأَعْجِنُ كُلَّ الدُّنَـا فِي يَـدَيْ

وَأَمْعَكُهَــا
وَيُصِيبُنِي الْعَيَـاءْ
وَأَنْهَـــدّ
لاَ يَـا صَدِيقِـي
دِمَـائِـي صُـرَاخْ
عُـرُوقِي جَنَـادِبُ حَرٍّ تَطِـيرْ

يَضِجّ بِـرَأسِي أزِيـزُ العُـوَاءْ
وَتَبْغُـكَ
تَبْغُـكَ ... كُلِّـي نُـوَاحْ
أيُوطِيء فِي خُصُلاتِي مُنْذُ زَمَـان بَعِيدْ
أيُـورِثُ فِي دَمِـي ، فِي نَكْهَتِي كَالسُّعَـارْ
أتَـكْـرَعُهُ كُلُّ شَعْـرَهْ
وَتَشْـرَبُـهُ كُلُّ ذَرَّهْ ،
بِـرَأسِي ، بِشَعْـرِي
وَتَعْجِنُـهُ فِي دِمَـاهَـا

وَتَمْضِي تُـوَزِّعُـهُ كَالشَّذَى
كَـأغَـانِي الْمُـرُوجْ
وَأسْبَـحُ فِيهِ كَشَلاَّلِ نُـورٍ
كَهَـالَـةِ رُوحْ
كَجِسْـمٍ فَنَـاءْ
تَهَدَّلْ ... تَنَـاثَرْ ... وَغَـطَّ عُيُـونِي ...
وَنَعْـشْ ...
وَدَعْنِـي أشُدُّكْ
وَدَعْنِي أشْرَبْ خَمْرَ اللَّيَـالِي السكارَى
أعُـبّ ، وَأفْنَـى ، وَأقْلِبُ جِسْمَى كالافْعُوَانْ
أعَـانِقُ نَهْدِي
وَأضْغَطُ زَنْدِي
وَأشْتَـاقُ لَكْ
وَبِي لَهْفَـة وَأُوَارْ
دِمَـائِي سُعَـارْ

ـ م . ع ـ
(مراكش)

في اليقظة في الحلم

بقلم : خناثة بنونة

أحلم تنبه : أنت ، هى ، أنا ، هو · وجلستك التى تحمل دلالة الصخر ، قطعة من أرض بشرايينها ونفسها : أرضنا ·

كيف الأخبار ؟·

إن الدم هو الذى يتكلم ، يهدر فى سيلانه ليصعق الصمت الذى ران على الحياة من قرون ، فولد الهزيمة فى الفكر والسواعد والشعور والأنظمة ، مع أن لغة التاريخ هى هى : من لم يشتر الحياة بالموت لن يحيا أبدا ·

والأسياد ؟·

يستهلكون الزمن الميت الذى صنعوه · خصوصا بعد أن سرقـوا أفكـار الشعوب وغضبها لتبقى تؤدى ثمن آثامهم وأفراحهم وهزائمهم ·

وهامان ؟ أبلغتك أخبار صرح ألوهيته ، فبأمره تتجدد اللحظة وتدمع السماء لتقيم الأرض مهرجانات السقوط · هامانك وهامانى هامان الماضى والحاضر ما زال يحكى وفوقه الشرائط والأنجم والألقاب وهو يصيح بألف صوت وصوت ، كل صوت : ليصنع اقتدارات السماء وحياة الأرض ورجاءها ودموعها وافراحها وقومى مع ذلك يرتلون : حى عليك يا رب المجد والرخاء والحـرية والبركـات والتقـدم ·

وتموت كل حقيقة كل خلق كل وجود كل اسم إلا وجه صـرحه الحـالى : حينما يقف أمام عجزه متمرغا فى الرماد وهو يتضرع : أيها الرب ، أنزل مطرك فلقد وعدتهم به ·

الرب ! ! يا رب كل هامان ·· كل أمطار القحط والفجيعة والمجاعات والزيف والطرد · ما قولك يا رب كل هذا الواقع رب كل شيخوخة كل عقم كل موت غير ومضة فى رحم جيل باك مهزوم جبار · جيلك يا صخر ، يا قطعة مستقبل تقول : يدكم ·· يد هذا الشعب الموجود المنعدم تشحننا باصرار نحمل السلاح

به مائة عام • صخر ؟ ضد ماذا ومن ؟ ضدى أنا ، أنا الكل ، سليلة مائة قرن من القهر والجهالة والقبح وصنع الأمجاد للطغاة •

ابتسام ! البسمة والألم • وطاقات هائلة من الحماس لتقويض الأنا •• أنا التاريخ العفن أنا المحنطات الركوع الصمت الرفوف فيك فينا فى ، قبل أن تتشكل النطفة فى أرحام الغد بلون غير اللون الذى حرمنا من حق الانتساب لفصيلة الأشراف •

الحركة فى الخارج والعجلات تسير وهى لا تسير ومسيرتكم قد بدأ محركها يأتى صوته وأنت فوق الألم فوق الماضى عند ذاك الآتى تضحك من حكاية جدتك عن هامان •

الصخر صخرك وصخرى صخر جيل باك جبار وصخر الأرض كيف تراه يستمر فى احتضان المساومين ؟• لا ، فاليقظة لن تقبل وصايا من ساوموا علينا فى السوق • شىء ما فيك فى فينا يتكلم : هل المعركة هناك وكفى ؟ أيها الصخر الذى يحلم يتكلم ، أتحيا المنطقة بالدم هناك ليبقى الموت بالعروق هنا ؟

أمة واحدة ومصير الموت عشناه ككل ، ولن نقبل حياة الاطراف دون كل الكيان •

قل أيها الصخر ، يا قطعة الواقع والأمل ، عن الغد بعد اليوم ولن تفعل الأمم شيئا اذا لم تبصر غدها من يومها ، فما هو دوركم ؟•

ثورة ثورة ثورة فينا فى المرافق فى الحدود المشكلة بيننا فى الانسان الضحية فى الوجه المعفر فى اللسان الأخرس فى شلل الأرض والحركة والرؤية والحلم •

ولكن ذلك الطالب واجه الأجنبية وهى تضع يدها على رسم فى خريطة : لا ، انها ليست اسرائيل ، فتظافر الجرم والزيف وموت الشمم وقرر : الطرد • ان هذا يحدث صخر ! وأين ؟ فى عينك فى قلبك فى سلاحك وعقلك عينى وقلبى سلاحى مدينتى ورفضك •

وتتحرك جلستك ، ونظرتك ترميها على كل الرفاق ولا تكون مع حالات الحاضر حالات الماضى ، وانما الى ذلك الآتى • أحمد • باليقين بالتجاوز بالاصرار بكل أحمد كل من لا يصنع العار لنفسه وللتاريخ يأتى الصوت : فى كل حى عندنا بالأردن تشكيلة فدائية للأطفال والنساء والرجال • الحياة تصنع

وقد كان الطرد الجماعى يتعقب حتى ذبذبات الأحلام من قبل ، ولكن الانسان أقــوى ٠

أقوى ! وعفونة عبادة الرماد تفوح منى من هؤلاء من كل واحد خارج حيكم ، حى الأقوياء الذين ترتسم على ملامح أطفالهم أحلام المدينة البعيدة القريبة كحلم كحقيقة كوجهك ٠ قطعة من الصخر هو ، يتفرع الى دروب وأبنيــة وحضــارة وإعلان عن اسم خارج بحر الظلمات وخليج الانهزامات، لأن الشارة، شارة فتح على صدرك وصدر رفاقك قبل صدرى وصدر هؤلاء، لم تعد وساما، بل أصبحت عقلا وتخطيطا وشيئا من الذات سيتحول الى ذات كبرى : ذات أمــة هى بين ساعديك كموت سيحقق الحياة ، وهى فى أضلعى وأضلع أشبــاهى كـومضة كحنين ، لأننا تشكيلة ذات موقف نشاز الكتب اكثر تزييفا من الاسد ٠ أسد اليوم لا أسد الغد ، الهررة الذين يموءون : نحذر إسرائيل أنها اذا لم تحتفظ بغنيمة الجولة الاولى والثانية ، فسوف نطلق زفرة تفجر فرحتها من عهــد بنى النضير ، أو الآخرون ، الذين يأتى دورهم من فم الأشباح على المنابر : اللهم انصر إخواننا عرب فلسطين !٠

عار بكل صوت أنت عار : عارنا ، نحن نقبــل صهيــل القطط أو منطــق الأشباح أو الانفجار فى غضب تعبيرى صرف ٠

الصخر صخرك لا صخر هؤلاء ٠ والجولة إما للموت أو للحياة ٠ وكيف تظل بعض المناطق معارض للتناقض ٠ وهذا التواكــل متى يثــور بشكــل كــلى ٠ وحياتنا بعد أن لم تكن لنا ، أترانا نجعلها ربحا أو خسارة بالتمام ٠

....

ستكون ٠٠٠٠٠٠

فى الرزانة فى بدء الفرحة فى انتفاء الحد بين الموت والحياة فى صوتك : ستكون ٠٠٠٠٠ وشىء منك قد ارتحل مع الأشواق فى ستكون ، لتصنع هاته الكينونة من فورة أهلها ، الميتون الثائرون ٠

ــ وقراصنة العالم ، الذين يصممون خريطته بين مناطق للأموات وأخــرى للأذيال ٠ أتراكم أكبر ؟

ــ نعــم ٠
ــ بمــاذا ؟
ــ بالاصرار ٠ آخر حى فينا لن يركع ٠

ـ والجيـران ؟

ـ انهم يستنفذون حياتهم ، ينحرون وجودهم بسقوطهم ٠

ـ وقنابل الذرة ؟

ـ ولو ٠٠٠٠ فهى لها ، قبل سنين عثر علماء جيولوجيون تحت سطح الماء عند شرق الأبيض المتوسط على إشعاعات ذرية ٠٠٠ هى طبعا من تجارب سرية لها ، لكن نحن ملتحمون بها ، ولهذا السلاح سنكون وإياها عرضة ٠

ـ قد تختار عواصم عربية ٠

ـ طيب ، لتحم العواصم العربية نفسها ٠

قهقهات ! حقارة وقهقهات ! العواصم العربية تحمى نفسها ! ! لا ، لا ، يجب أن نضع صمامات فى الآذان دون كل تهريج لتنمو النطفة وهى تتكلم بالفعل ، ليصبح الفعل أسلوبا واختيارا ونمطا وتعبيرا ومسيرة للتطور ٠ قبل أن يؤدوا ثمن السقوط ، ثمن جعلنا جميعا يبادق لتجربة نزواتهم (متابعة) ٠

أما القنابل أما الموت أما الخوف أما التسييس أما المهاترات المحلية والدولية فقد بقيت فى قبور من عادوا يوم النشور : حينما مـات كـل شىء ليتجـدد كل شىء ٠

خ٠ ب٠

(المغرب الاقصى)

النادبة المحترفة

شعر : الطيب الرياحي

دَخلَتْ مُقَطَّبَةَ الجَبينْ
فَمُهَا كَبِئْرٍ دُونَ مَاءْ
وعلى الشِّفاه تَراكمتْ جملُ العزَاءْ
وعلى الجفُون رمادُ حَاضِرِها الحزين
وَبِلاَ انْتِظَارْ
ألْقَتْ بِهَيْكلها الضّعيف على الجدارْ
وَصَحتْ كمجْنُونٍ ومَزّقتِ الإزارْ
« ... الشَّيْخُ مَاتْ ! ؟
الله أكْبَرُ ، يَا لاحزَانِ الحَيَاةْ ! ! »
ومضَتْ مَخالبُها الطَّوِيلة في الخدُود
تَجْرِي وَتَرْكَضُ ، لاَ قُيُودْ :
« ... الخَيْرُ مَاتْ !
أوّاهُ يَا أرْضَ المحبَّة وَالصّلاَةْ
لاَ شَيْءَ فَوْقَكَ بعْد موْت الشَّيْخ
يُوحِي بِالحَيَاةْ ... »
وَتَظَلّ فِي حُزْنٍ شَدِيدْ
تَبْكِي وَتَسْعَلُ ، تَسْتَعِيدْ
أنْفاسَها مِن صَدْرِها الواهِي القذِرْ :
« ...الشَّيخُ غَابَ بِلاَ رُجُوعْ
الشَّيْخُ فَارَقَنَا فذُوبِي يَا ضُلُوعْ ..
من يطلبُ الرّحمانَ إنْ حبس المطرْ ؟
الارْضُ بَعْدَ اليوْمِ لَنْ تعطِي الثمرْ
هَيْهَاتَ تَحْلُمُ بِالرّبيعْ ... »
وَتَظَلّ أنْمُلُهَا تَجُولُ بلاَ هجوعْ
ونُدوبها كمراجلٍ تغلِي على نارِ الخدودْ
وَتَقُولُ فِي حُزْنٍ شَدِيدْ :
« وَيْحَ الحَيَاةْ !
تُعطِى ذَوِي العاهاتِ ، تسلبنا الثِّقاةْ ..
وَالله خَالِقُنَا ، وَنَحْنُ له عَبِيدْ
خَلَقَ العِظَامَ مِنَ التّرَابْ
ونَعِيشُ ، نَكْبرُ ، ثمّ نرْجعُ للترابْ
بِمَشِيئَةِ الرّحمَانِ نرْجعُ للترابْ. »
وَتَمُدّ كَفَّيْهَا وَتَنْظُرُ للسَّمَاءْ :
« ... هذَا ابْتِلاؤُكَ يَا إلهَ النَّاسِ
يَا ربّ السَّمَاءْ
يَا أيهَا الجبّارُ لاَ نَخْشى سِوَاهْ
بُسطَاءُ نَحْنُ وَشَيْخُنا يهوَى الإله
يَا رَبّنَا ... يَا ربّنا برّدْ ثرَاهْ .. »
عادتْ على عكّازِها عبرَ المفاوِزِ والتخومْ
وَالبَذْرُ يَذْبُلُ ، وَالنجُومْ
تَخْبُو وَتَغرِقُ فِي السَّمَاءْ

وَالنَّعْشُ يَحْمِلُهُ عَلى الاكْتَافْ
أهْلُ الفَضْلِ فِي صَمْتٍ رَهِيبْ
وَالقَبْرُ يَنْتَظِرُ الغِذَاءْ ...
عَادَتْ وَفِي يَدِهَا دَقِيقْ
كَالخُنْفُسَاءِ تَدِبّ ، تنْظرُ للدّقيق
لاَ شَيْءَ يَعْنِيها سِوَى هَذا الدّقيقْ
هذاالّذي من أجله تمسي وتصْبح في حريق
وتحسّ بالاسف الشّديد : « لم الشّهيق ؟؟
الشَّيْخُ لاَ أدْرِيهِ يَا ربّ السَّماءْ
فَلِمَ الدّمُوعُ ؟ لِمَ البُكَاءْ ؟ »
وَتَمُرّ ذِكْرَى زَوْجِهَا ذاك الشّهيدْ
فتَرُوحُ تستجْدِي الخيالَ وتستعيدْ
ذِكْرَى انهيارِ السُّورِ في الحرْبِ الأخيرة والسُّدُود
حَيْثُ الدّمَــــــارْ
وَمَدَافعُ الالْمَانِ تعصفُ بالدّيارْ
وَالطّائِرَاتُ تحُوم في أَفق الغُبارْ
وَالحبْلُ يَعصِرُ زَوْجهَا فوْق الطّريقْ
وَالجُوعُ يَفْتِكُ بالشّقيقة والشّقيقْ
والمَوْتُ والعرَبَاتُ تزْحفُ في الظّلامْ
وَشُيُوخُنا عبْرَ الخنادق يهمسُونْ :
« قَوْم لِئَــامْ ! ! »
عَادَتْ إلَى الكُوخِ الحَقِيرْ
لتَعيش فيه بلا غد وبلا مَصِيرْ ...
يَا أنتَ يا جسْما تُغطّيهِ الشُّحُومْ
يَا حاملا قلبا جديدا ليس تعرفه الهمومْ
يَا جاعلا من يوْمه سفرا يمزّقه الضّجرْ
يَا نَائِما فَوْقَ المزَابِل ، تَحْتْ أسْوَارِ القَمَرْ
يَا حَالِما بِالخُبْزِ بالخدّ الاسِيلِ وبِالصّغارْ
يَا حَاجِبا شَمْسَ النَّهَــارْ
بِنَوَافِذِ الحانَاتِ في جوْف المدينه
يَا غَائصا فِي الرّجْسِ للأذقَــانِ ،
يَا ثُقْبا تَقَعّرَ فِي سَفِينَــه
هِيَ لَنْ تَمُوتْ
ستظلّ رَغمَ السُّلّ تعْولُ فِي البيوتْ
سَتَعِيشُ مَا دَامَتْ بعينيْهَا دُمُوعْ
وَمَخَالب للْخَدّ للنُّدْبِ الشّنيعْ
سَتَظلّ صَدْرا ليس تُعرِفه الجواهِرَ
صَدْرا تُلَطّخُهُ الزّيُوتْ
سَتَظَلّ شَعْرا يابسا كخيُوطِ بيت العَنْكَبُوتْ
شَعْرا شَقِيا ليْس تجْمعه ضَفائِرْ
حتّى إذَا نَضَبَتْ بعَيْنَيْها الدّمُوعْ
واسْوَدّتِ الرّئَتان مَا بيْن الضّلُوعْ
أبْصرْتَهَا في مِخْلَبِ الموْتِ العنيدْ
تُومي إلَيْكَ ، تَقُولَ فِي الافُقِ البَعيدْ :
« مِثْلِي وَمِثْلُكَ كَالصّدِيدْ
هَيّــا مَعِي
هَيَّا مَعِي تَحْتَ اللُّحُــودْ
فَأنَا وَأنْتَ زَوَائِد في ذا الوُجودْ «..»

سقوط سدوم (*)

ـ 3 ـ

مسرحية بقلم : إبراهيم بن مراد

المنظـر الخـامس

مساء نفس اليوم ، يوم عيد « الف س » • فى دار لوط فى منزل تحيط به أشجار برتقال و' يوم ، عن يمينه وشماله قد أمتدت مزارع قمح ـ لوط ول !ـ زوجته ـ منصرفان الى نفسيهما يعصر الحزن وجهيه ا •• وفى ركن جلست اسمى حديث حزنها وبكائها •••

ليـــــا : راحيم ، ابنتى يا لوط ! راحيــم !

لـــــوط : سيردها الرب الينا يا ليا • كفكفى حزنك

ليـــــا : أهكذا تنتقم منا يـارب ؟ !

لـــــوط : انما ننتقم من أنفسنا ياليا • فلكل نفس ما كسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من إثم ! ولقد اكتسبنا مـا أوجـد الـرب عنـــا •••

لقد رأيتنى البارحة ياليا أطفو على ظهر عرم من اليم هائـج ، أصارع الموج والموت الحائق جهدى • وكنت الاحظ كلما ثبت الى نفسى رأسا بشريا مقطوعا عن أصله ، يطفو على السطـح يتبعنى ، وقد أكتسى بشرا ، حتى انتهيت الى الشاطـىء ، ووجدت هناك أسمى وراحيم وسامان • ولما كنت الى جانبهم نطق الرأس : « ليس فى سدوم يا لوط الا مثاقل الى الدنيـا راكن الى نفسه مضطجع اليها ••• يخاله احدى ثوابت النجوم رسوخا وأصالة مرمرا صلبا وصخرا صلدا ، وهو الجسد قد اكتسى ثؤلولا تشويهـا ومسخـا ، نخلـة مسـلاخ قد اجتثت فما لها من قرار! ثمرة سقاط تقع للسابل وهى الزائفة الكذوب لقد أوشك أن يغـريك عن نفسـك الانكـار ، ويستهويك فى ذاتك الشك ، فاذا أنت مجتث الاصل فلا رسوخ مقطوع الصلة بنفسك فلا قرار ••• واذا نفسك يلفها قناع من غثاء ••• » حتى وقع بكاؤك على اثر أختطاف راحيم • فاستيقظت • ان الله غاضب على لقد انزلقت يا ليا !

(*) راجع الفكر ـ العدد 9 ـ جوان 1969 •

ليـــــــا : لقد انزلقنا جميعا يا لوط · وان انزلاقتنا لفادحة ·

لـــــــوط : وأنت أيضا ؟ ···

ليـــــــا : نعم ! منذ كان قرارنا فى سدوم وأنا أحمل عبء الخطيئـــة · وهاهى ذى ساعة الضعف التى تنطقنى معترفة قسرا عنى ! كنت أحملك فى قلبى منذ تزوجنـا صـورة تبعث الـدعة فى روحى ، ولكنها ما كانت تبعث الدفء والحركـة فى جسـدى ، جسد الانثى ! حتى ضمتنا سدوم ، أرض الخطايا · لقـــد سعيت اليها فى موكب من الامل والحلم ، وتخيلتنى يـا لـوط احتضن الشمس الضياء والقمر النور والفجر اللؤلوء ··· حتى التقيت به ··· نعم ! هنا ! (يتغير وجه لوط الى لون ورقـــة لفت خارفة) · واحتضنته قمرا أخضر يملأ كونى ، وتخيلت انه الملا ، وانها غبطة الوجود ! وتـلاشت صورتك من قلبى ! (تجهش) ·

لـــــــوط : (كالمحتضر) من ·· هو ؟

ليـــــــا : هو « حيرام » · التاجر السدومى الاكبر · انه ما كان يسعى الى منزلنا الا شوقا الى · وما كان يتساهل معك فى صفقـات البيع الاكسبا لصداقتك كى تفتح له باب منزلك ويقترب منى! لقد كان يحمل الى من العطور والهدايا مايدغدغ فى شعـــور المرأة بانوثتها ، ويحرك فى ضعفى وعواطفى ! ونهرته غرابـا ينقر من عقلى ، وينعق فى خرائب نفسى ، ونهرت قلبى راغبا عنك منصرفا اليه · وكأنى ما كنت أنهره الا ليزداد رغبة عنك وانصرافا اليه ! فقد كنت أرتقب مواعيده فى غسق الليل ، ليالى تكون الى عملك وعمالك وشؤون أرضك خارج أســوار المدينة ! وكان يقول لى : « نجح لوط ان يكون رجل عمل ، فحلا تقع له الارض ، وفشل أن يكون رجل حب ، فحلا تقع لـــه نفسك » · فما أتعسنى ضالة يا لوط !

لـــــــوط : (متحطما ، رافعا عينيه الى السماء ، جاثيا فى ضراعة يصلى ، موسيقى أمل وخوف) : يا اله ابراهيم ! يا رب لوط ! لقـد طاف بقلب عبدك طائف من الشيطان ، وخيم على عبدك ضباب من انفاس الجحيم ! فطهر قلب لوط من الوعثاء ، يا خالـــق الانسان من تراب وطين ! ونج عبدك من هذه العبشاء، يا واضعا فى الانسان قبسا من نورك !!

تسمع اصوات بعيدة تأخذ فى الاقتراب ، مختلطـة ، مضطربـــة ···

صـــــوت : يا لوط ! الى النار ! الى النار قربانا !

تقترب الاصوات اكثر ...

اصـــوات : الى النار ! الى النار ! يا عدو « الفلس » ...

ويحاط منزل لوط بجمع السدوميين الصاخب ... ولوط مسترسل فى تأمله غارق فى صلاته ... بغتة ويضيء أرجاء الدار نور غامر عرم ، اذ ينفذ من الباب ثلاثة ملائكة مرد حسان كاللؤلؤ المكنون . لهم من السحر لون العيون ، ومن الشفق لون البشرة . عيونهم بحيرات من الدعة والطمأنينة ... ويستيقظ لوط من تأملاته ، وتذوب ليا فى سكونها ، وتبقى أسمى حديث بكائها ...

صـــــوت : (من الخارج) : ياله من حسن ! يالها من فتنة ! انهم كالفاتنات الشهيات ! الينا بهم يا لوط !

اصـــوات : الينابهم ! الينابهم !

لـــــوط : (فزعا) من انتم أيها الزائرون ؟ انكم لقوم منكرون !

احد الملائكة : انا رسل ربك اليك ، نبشرك بساعة الخلاص . (يتهلل وجه لوط بشرا . ويتجه الى الهائجين من الخارج) :

لـــــوط : يا أبناء سدوم ! اتقوا غضب الرب ! انكم لقوم سوء تأتون الرجال شهوة من دون النساء ، وتقطعون السبيل ، انكم قوم مسرفون !...

صـــــوت : ائتنا بالزائرين الفاتنين . أو ائتنا بعذاب من ربك ان كنت من الصادقين !

لـــــوط : اتقوا الرب ولا تخزونى فى ضيفى ، انهم رسل الرب الى ! واليكم ابنتى ، هن أطهر لكم . أليس منكم رجل رشيد !

صـــــوت : انك لتعلم أن ليس لنا فى ابنتيك من رغبة ، وانك لتعلم ما نريد !

الملاك الاول : لا تخف ، فلن يصلوا اليك ولن يمسوك بضر . لقد جئناك يا لوط بما كانوا فيه يمترون . انا مهلكو أهل سدوم ، انهم قوم سوء فاسقون ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، وأمضو حيث تؤمرون . ولا يلتفت منكم أحد ، ان موعد سدوم الصبح ، وان دابرها لمقطوع مصبحين !

تعلو الجلبة خارج المنزل .

صـــــوت : لقد أظلمت الدنيا فى عينى !

صوت آخـر : الدنيا كلها ظـلام ...

اصـــوات : لقد عميت !! لقد عميـت ...

هـــاتـف : « أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شىء ، وذلك هو الضلال البعيد ... »

المنظـر السـادس

نفس اليوم ، مساء . فى ساحة المعبـد ، وقد امتـلأت بالسدوميين يتصارعون كالمجانين،ويصرخون كالسعالى. وقد أخذ يزحف الى الساحة جموع من المجذوميـــــن والمنبوذين بالجبل ، يطلقون أصواتا **نكراء . أصـوات** متصاعدة فى كل جهة من المدينة . دوى انفجارات **بعيدة** زلازل . موسيقى رعب وفزع . أصوات **تخترق الفضاء** راعبة جازعة . وتكتسى السماء بلون **أحمر كالـدم .** ويغشى الفضاء ضباب وسموم وكدر . حينا ، **ويخترق** الفضاء مزن من النور خارق خاطف **يغشى العيون ...** ويحمر الافق وتلتهب السماء وتندفع **السنـة اللهب من** كل صوب آكلة ناخرة ، تكر على الساحة هوجاء ضارمة خـارقة ... ويتعـالى الصـراخ ويمضى كـل يتلمس طريقه ، منفذا ...

اصـــــوات : لقد عميت ... أظلمت الدنيا ... يا للظلام ...
وتنطلق الهواتف فى شكل الصفير حينا ، والقهقهة أحيانا . ويتوالى دوى الانفجارات البعيدة كالقصف أو الزلـزال ... وتردد الاصداء من حين لآخر :

الاصــــداء : قد غضـب الطـوفان !
قد غضـب الطوفـان !
حينا ، وتعربد السماء وتكركر عليها وعلى الارض زلازل **وبراكين** رعدا . **وتنطلق العواصف الهوج تنشر البرداء ... وينكشف** المساء عن وجه كره قد أنكدرت نجومه ، **فهو اليد الشلاء ...** ويساقط **رذاذ خفيف يقع على الارض كالشهب سرعان ما ينقلب** وبلا...وتلج الساحة كتل الظلام الاقتم.**وتنطلق طيور أبابيل**

تقذف بالحجارة السجيل هيكل « الفلس » و « جلسد » ٠٠٠ ثم يلج الساحة نبى « الفلس » « بعلزبول » ٠ والكاهن الاعظم يوؤاش ٠ وسدنة النار وقومة « الفلس » والكاهنة العظمى وتصيبهم رعشة الموت اذ يغشى أبصارهم ظلام العاصفــــة واجسادهم غضب الطين المهـان ٠٠ وتنقض عليهـم الحجـارة وحبات المطر لعنة القضاء ورب ابراهيم ٠٠٠ وتأخذهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون٠ ويهوون هويا منكرا كباطلة الاباطيل٠٠ الانبى « الفلس » فيتجمد مكانه ليشهد انهيار « الفلـــس » كالنخلـة السحـوق ، وآنطفـاء « جلسـد » كصوت يغـور ، محتضر ٠٠٠ وتزلزل الارض زلزالها كبركان الاثم ينفجـر غضب الاقدار ٠٠٠ وتكون « الفلس » و « جلسد » من أثقالها تهويان عمودين من ملح يقعان على بلعزبول صاعقة ، وينتشران على الارض نثارا فى صوت خافت كاللاشىء أو همس الغيب٠٠ وينكشف النبى لعنة سحقت وعورة صرخت فأخمـدت ٠٠٠ ويظهر فى هذه الاثناء طيف سامان ماسكا بيد « راحيم » ــ ابنة لوط ــ يشقان الساحة ويخترقان اللهب ، ولا يحترقـان ، والعاصفة ولا يصعقان ٠٠٠ قد علقت منهما العيون باهـداب الافق الشرقى كمتطلع للنجم تائـه ٠٠٠

وتتتالى على سدوم الراجفة تتبعها الرادفة : زلازل تنفجـر من صخر صماء فى أرجاء المدينة وأركانها٠٠٠ ويصيب السدوميين سكون العـدم والسكينة الآبـدة ، اذ مسخـوا على مكـانتهم فأصاب قلوبهم ــ الفلس ــ وأجسادهم ــ جلسـد ــ وعقولهم ــ بعلزبول ــ ما أصاب آ لهتهم ونبيهم ٠ فهم السر الباطــل والكلمة الزائفة والفعل الماضى والمبتدأ لاخبر له ! فليس ما تستغشى به سدوم سوءاتها غير أعمدة من ملح ساهمة يعلوها الاسن والركود ٠ وتنهار المدينة المؤتفكة أنقاضا ٠٠٠

المنظر السابع

صباح الغد ... سماء غارقة فى الصفاء وفضاء عائم فى الصحو ... صباح كأنفاس الجنة ، وقد أنسدلت أشعة الشمس على الجبل ضفائر من لجين وعلى الافق جدائل من ذهب ... وعند قمة الجبل الممتدة مطلة على الشرق الاخضر يظهر لوط وراحيم وسامان وأسمى ، وليا ، كاطياف حلم أو خيالات ماضى بعيد ...

لوط : لا تلتفتوا ... ذلك أمر الرب الينا

اسمى : لقد كنا على سدوم اللعنة يا أبى ...

لوط : لقد كانت آلهتها سبب لعنتها ...

سامان : وكان دخولك اليها سبب سقوطها ...

أسمى : لقد كنا جميعا سبب سقوطها . لقد كنا عليها اللعنة ... كنا الطهارة فى عالم اثم ، فمزقناه تمزيقا ... كان نسيج العنكبوت تمزق لنسمة هبت لانه شجرة لا أصل لها ...

ويهجس فى قلب « ليا » هاجس يتمثل لها صوت حيرام عشيقها هامسا .. « ليا ! ليا ! أنا هناك » يقع لاذنها سحرا يشدها الى ماضيها ، وعلى جسدها كثورة الشهوة الحمراء فى عروقها ... وتخاله حيرام وراءها فتلتفت اليه ، ويقع بصرها على سدوم أنقاضا رمادا وأعمدة ملحا كشهوة منطفئة وصوت غط ... وتصيبها رعدة الموت لهول ما رأت ، وينخلع قلبها وجفا ، ويزلزل كيانها زلزالا ... وتمسخ عامودا من ملح ... وينحدر لوط وسامان وأسمى وراحيم الى الجهة الاخرى من الجبل ...

لـــــــوط : أسمى ! ليس لك غير سامان عزاء ... هذا الذى طالما حلمت به ... فقد أنطفأت أمك ...

تشهق أسمى ، وتدس رأسها فى حضن سامان ، تحتمى به ...

ســـامـــان : هى نهاية وبداية ...

إ٠ م٠

بشرى (قبلى) – فى أوت – سبتمبر 1968

◆ اصلاح أخطاء مطبعية وردت فى الجزء الاول والثانى من مسرحية « سقوط سدوم » لابراهيم بن مراد (ماى وجوان 1969) :

– ص 37 – س 6 : الحاوية / الحاوية .

– ص 38 – س 20/21 : ... شدا ، فكنت انطلق وراء المجهول الى حظه الواقع الى نفسه / ... شدا ، فكنت كالعاهن المستسلم الى حظه الواقع الى نفسه .

– ص 38 – س 22 : الريح العصوق / الريح العصوف .

– ص 39 – س 12 : مما حصلت إلا / فما حصلت إلا .

– ص 40 – س 5 : يا سمان / يا سامان .

– ص 42 – س 16 : سامان عن مكانه / سامان عند مكانه .

– ص 46 – س 28 : الضايع / الضائع .

– ص 46 – س 30 : هبة اللآلهة / هبة الآلهة .

– ص 47 – س 9 : وما ـدرت أن / وما قدرت أن .

– ص 47 – س 11 : وشعرت بها كتفا / ... بها كثفا .

ص 46 – س 29 : هبوية / هبرية .

ص 47 – س 6/5 : السد ... وميين / السدوميين .

ص 48 – س 26 : نحلة / نخلة .

ص 50 – س 16 : يا أيا / يا أيها .

ص 51 – س 27 : سكنة / سكتة .

ص 51 – س 31 : البرد / البرء .

مطالعات

رأي (؟) حول أبو القاسم الشابي
من خلال كتاب :

في الادب العربى الحديث

بقلم : يوسف عزالدين

تعليق : عبد العزيز قاسم

عندما وقع بين يدى هذا الكتاب اثار فى نفسى كثيرا من الاهتمام اذ هو يعنى بالادب العربى الحديث وانا ممن يدعون ويتحمسون لدراسة الادب الحديث • وعندما عرفت مؤلف الكتاب اضمرت حكم استحسان مسبق • فالكاتب دكتور فى الادب واستاذ جامعى وامين عام لمجمع بغداد ، كل هذه الصفات تضمن المنهجية العلمية فى النقد ، والجدية فى التفكير ، والتحرى فى الاستنتاج • وهى بالتالى تبشر بكسب معلومات قيمة وفوائد جمة •

يحتوى الكتاب على مجموعة من المقالات يلقى بعضها اضواء عامة على وضعية الادب العربى المعاصر ويتناول اغلبها بالدرس والتحليل طائفة من شعراء العربية المعاصرين ، ولقلة ما ينشر عن الشعر التونسى فى الشرق ، استرعى انتباهى بالخصوص بحث عن شاعرنا **أبى القاسم الشابى** • وقبل الشروع فى مناقشة هذا الموضوع الذى يثير النقاش ، ليسمح لى الدكتور يوسف عزالدين بأن ابدى ملحوظة عامة بشأن طريقة البحث والتقديم التى توخاها فى عرض افكاره وشخصياته • وهذه الملحوظة تذكير بما تعلمناه خلال الدروس التطبيقية الجامعية من أن مقدمة المقالة او البحث القصير يجب ان لا تتجاوز الفقرة وان تكون مجرد تمهيد يضع البحث فى اطاره الفكرى او التاريخى او الاجتماعى • وهذا ما لم يلتزمه الكاتب فى اى غرض من اغراضه • فالمقدمات مطولة مشتتة الافكار يحسن فصلها عن موضوعاتها وتقديمها مستقلة • اضف الى ذلك ما تشتمل عليه فى معظم الاحيان من عرض صحفى مبسط ، وشروح بديهية متداولة قد افرغها الاجترار من معانيها •

تحدث الدكتور عن أبى القاسم الشابى فاصدر ضده احكاما قاسية ، ولا اريد ان اقوم هنا بدور المحامي الذى يعقب الاحكام ويفند الحجج ، ولا اريد حتى معاتبة الكاتب على صرامة احكامه ، فقد يخطىء بل وكثيرا ما يخطىء الناقد فى ما يسلطه من احكام على الادب الذى يعاصره ، فالناقد لا يمكن له ان يضبط تقييمه للاثر بصورة علمية مدققة الا متى اكتمل الملف وباعد الزمن بين الناقد والمؤلف وفصل بين الماضي والحاضر ، اذن فان ما يمكن ان نؤاخذ به الناقد ليس ما قد يقع فيه من خطا حتى ولو كان فادحا ولكن نؤاخذه فيما قد يقع فيه من خلط واضطراب وتناقض،وهذه العيوب موجودة كلها فى البحث الخاص بأبى القاسم الشابى من هذا الكتاب ٠

يقول الدكتور عز الدين : « **كانت الظروف تستعد كلها لشهرة أبى القاسم الشابى ، والظروف طالما خدمت الادباء والشعراء فى الشهرة ٠ وليس الشابى باشعر شعراء تونس ولا باعلم علماء تونس ، ولكن حالفه الحظ فى هذه الشهرة ولم يحالف الحظ اخوانا له يفوقـون الشابى شعرا وعلما وفضلا** » ٠ نعـم ان الظروف كثيرا ما تخدم الشعراء ، ولكن شهرة الشابى ليست مجرد صدفة وقد كان الشابى فى عصره فعلا اشعـر شعـراء تـونس ، بل واشعر شعراء المغرب العربى فهو الذى ارتفع بالشعر عن التغنى بالمناسبات الرخيصة وابتعد به عن التقليد والسطحية٠ان الشابى هو اول شاعر مغربى جعل التأمل منطلقا لوحيه والهامه واول شاعر مغربى ادرك مفعـول موسيقى الكلم وعـرف كيف يعزف على الكلمات فيخـرج منها اعذب الالحان٠ هذا وان الالحـاح على كون « الحظ » قد « حالف » الشابى وهو الذى مات فى الخامسة والعشرين الحـاح اقل ما يقال فيه انه خال من الاحتشام ٠

ان شهرة الشابى تضايق الدكتور الى درجة انه يحكم بانهـا « لا تتناسب وشاعريته فقد دوت هذه الشهرة في كل مكان وخدمته الظروف خدمة صادقة » ويقع الدكتور فى التكرار : « الظروف » دائما « الظروف » هناك من هو اشعر من الشابى ولكنه « لم يصل الى ما وصل اليه الشابى » وقد بلغ الاعجاب المبالغ فيه بهذا الشاعر حدا يتجلى « **فى كثرة ما كتب عن الشابى من مقالات وكتب ، فقد كتب عنه اكثر مما كتب عن الزهاوى والجواهرى وعن الرصافى نفسه ، مع ان الشابى لا يكون تلميذا فى مدرستهم الشعرية ٠٠** » لو نظرنا نظرة نفسانية الى تكرار التظلم واجترار التذمر من « شهـرة الشـابى » وحـاولنا ان نطبق نظريات « فرويد » لقلنا ان ذلك يشير الى عقدة نفسيـة ينبغى للدكتـور ان يفحصها وان يعالجها خاصة انه لا يكتفى بما سبق من تكرار واجترار فيعود الى هذه النقطة بالذات فيقول « ساعدت الظروف العامة على شهرة الشابى ولكنى

لست بمنتقص من قيمة الشابى ولكنى اقول ان شهرة الشابى الواسعة لا يسندها شعره المنشور فى « اغانى الحياة » ولا مقوماته الفنية » ٠

هذا الراى ورد فى ستة عشر سطرا فقط من الكتاب تكررت فيها المعانى والالفاظ بشكل غريب ٠ « فشهرة الشابى » (غير المشروعة) « والظروف التى ساعدت عليها » ووجود « من هو اشعر من الشابى » ، افكار كررها ثلاث مرات فى نص قصير يصلح ان يقدم انموذجا لما ينبغى ان يتجنبه الطلاب والنقاد الشبان من حشو وعى فى التفكير والتعبير وانى لاسال الدكتور عما يكون موقفه من طالب يقدم مثل هذا البحث يوم الامتحان ٠

بعد هذه الملاحظة التى لا اريد ان اتوسع فيها لما قد ينجر عنها من احراج اود ان اناقش المؤلف حول مفهومه لشهرة الكاتب او الشاعر ٠ هل هناك مقاييس علمية وقواعد مضبوطة تحدد ما يستحقه كل اديب من شهرة فنقول هذا اديب ينبغى ان لا تتجاوز شهرته القرية ، وهذا لا ينبغى ان تتجاوز شهرته المدينة وذاك حدود شهرته الجهة وهذا حدود شهرته حدود وطنه ، وذاك ينبغى ان لا يتعدى بلده والاقطار المجاورة ، وهذا لا يتعدى القارة وذاك لا يتعدى القارتين ، الخ ٠٠٠ ان منطق تحديد الشهرة منطق مضحك ٠٠ ثم هل ان بقاء شاعر كبير مغمورا يبرر تغطية شاعر اقل منه قيمة والطعن فى شهرته ؟ ان ديوان « اغانى الحياة » يحوى فعلا عددا من القصائد الضعيفة ولكن شهرة الشابى لم تقم الا على الجيد من شعره وهو كثير ، وفى زعمى ان الشابى لو كان حيا لما رضى بنشر الضعيف من شعره ٠

انه من الطبيعى ان نتناول بالنقد جوانب الضعف فى شعر الشابى ولكن حكمنا الاخير الحاسم النزيه على شاعرية شاعر ينبغى ان يستند على اقصى ما اظهره من امكانيات واستعداد وهى تتجلى فى احسن قصائده اى فيما ينبغى ان يبقى من شعره ٠ وان قصائد مثل « اغانى التائه » و « النبى المجهول » و « صلوات فى هيكل الحب » و « فى ظل وادى الموت » و « الساحرة » و « الصباح الجديد » و « الحانى السكرى » و « ارادة الحياة » و « تحت الغصون » و « نشيد الجبار » تبلغ مستوى قلما بلغه شعراء العربية ، وتصلح ان تنشر فى منتخب من شعر الطبقة الاولى من شعراء العرب فى القرن العشرين ٠

أما كون الشابى لا يصلح ان يكون تلميذا فى مدرسة الزهاوى والجواهرى والرصافى ٠ فهذا كلام نستغرب صدوره من استاذ جامعى كالدكتور يوسف عزالدين ، فالمنهجية العلمية تقتضى اولا ان لا نتحدث عن « مدرسة شعرية »

الا بعد ان نتأكد من وجودها وفى زعمى ان الشعراء المذكورين لم يشكلوا اية مدرسة بالمفهوم العلمى للكلمة ، ثانيا لا يجوز البتة ان نوازن او نقارن بين شاعر وشاعر الا اذا انتسبا الى تيار فكرى وادبى واحد او التقيا فى ضـرب من ضروب التجديد او التقليد ، انـه لمن خطل الرأى مثلا ان نقول : ان امرأ القيس اشعر من على محمود طه ٠

ان الاستاذ عز الدين بامكانه ان يفضل من يشاء من الشعراء على الشابى مادام الامر يتعلق بذوقه الخاص ، اما وهو يقدم « دراسات وبحوثا » فانه مطالب بتقديم حجة على ابسط ما يقدمه من آراء ٠ هذا ولنفترض امكانية المقارنة بين الزهاوى والجواهرى والرصافى من جهة وبين الشابى من جهة اخرى ٠ ماذا كان يمكن ان يجنيه هذا الاخير من « تتلمذه » لأولائك ؟ هل كان ينبغى له ان يسير على خطى الرصافى فيصف « الساعة » و « القطار » و « التوموبيل » وغير ذلك من القصائد التى لا تصلح الا لتلاميذ التعليم الابتدائى ؟ ام تراه كان يفيد من تجربة الزهاوى الذى مدح العثمانيين ، ثم مدح الانكليز حسبما كانت تقتضيه الانتهازية ، فى شعر مهلهل للغاية ؟ ما ابعد الشابى عن هؤلاء وانه « لا يصلح » بالفعل ان يكون « تلميذا فى مدرستهم » فقد اختار سبل التجديد الحقيقى وجعل من شعره انشودة الانسان فى آلامه وآماله ، فى ضعفه وفى تمرده ، متجاوزا فى كل ذلك التعلق بالاحداث اليومية العابرة والاغراض الشخصية الرخيصة ٠ لا اريد ان اقع هنا فيما وقع فيه المؤلف من خطا المقارنة ومن التهجم على شعراء كان لهم على كل حال اثر لا ينكر فى تطوير الشعـر العـربى ٠

وفى خاتمة بحثه يعود الدكتور او يعود اليه ما سميناه بالعقدة التى نتجت عنده من جراء « شهرة الشابى » فيكرر للمرة الرابعة : « هـذا هـو الشـابى الذى اكتسب شهرة اكثر مما يستحق ٠٠ ولو نخلنا ديوانه لما وقف على قدميه مع اى شاعر من شعراء الدرجة الثانية فى البلاد العربية كالعراق وسوريـة ومصر ٠٠٠ » وامام مثل هذا الحكم التعسفى الذى لا يستند الى منطق ولا الى فهم فاحص حصيف ، لا يسعنا الا ان نقول : « صدقت يا دكتور ان الشابى لا يقف مع اى شاعر من شعراء الدرجة الثانية ، لانه من شعراء الدرجة الاولى »٠

ع٠ ق٠